الخميس ١٨ ايلول ١٩٩٧ الصفحة ١٦

لجان العمال الكبرى تطالب باعلان الاضراب الشامل فورا

□ رئيس الهستدروت: لنمنح الحكومة فرصة اضافية! □ غونين: ميزانيات الحرب والاستيطان سبب المآسي □ استمرار التشويشات في عشرات المرافق الاقتصادية □

لـ حيفا – مكتب «الاتحاد» – فيما طالب رؤساء لجان العمال الكبرى باعلان الاضراب الشامل في جميع المرافق الاقتصادية فورا، لان «الحكومة لا تفهم الا لغة القوة»، رفض رئيس الهستدروت عمير بيرتس الدعوة، مسوغا ذلك باعطاء فرصة اضافية للحكومة للتراجع عن الخطة الاقتصادية!

جاء ذلك في اجتماع حاشد نظمته الهستدروت، امس الاربعاء، في حيفا، وشارك فيه الألاف.

وقبل الاجتماع جرت مظاهرة صاخبة. وعرقل مئات العمال حركة السير في الثامنة صباحا، حيث احتشدوا في (٨) مفارق طرق رئيسية في منطقة حيفا، ورفعوا الشعارات المنددة بخطة الحكومة الاقتصادية.

وفي الاجتماع الحاشد، تحدث النقابي الجبهوي بنيامين غونين عن السبب الاساسي لما تعانيه الدولة من ازمات ومشاكل وقال: ان الاستيطان وتبذير الاموال عليه وابتلاع ميزانية «الامن» اكثر من ثلثي ميزانية الدولة، هما سبب الوضع الاقتصادي الحاصل.

ودعا غونين العمال الى توحيد صفوفهم ومواصلة المعركة ضد سياسة الحكومة المعادية للعمال.

وتحدث عدد من رؤساء لجان العمال الكبرى. فكان القاسم المشترك بينهم، الدعوة الى اعلان الاضراب الشامل فورا.

وقال عامل: نحن اقوياء، وعلينا اغلاق مفارق الطرق ووقف حركة السير كليا. وعرقلة حركة التصدير وحركة القطارات كليا، ولنر من منا سيخسر، العمال ام الحكومة وأرباب العمل!

- وقال احد رؤساء لجان العمال: كفى تصريحات. ان الرد الوحيد على حكومة كهذه تبلدت احاسيسها، هو

(البقية على ص ١٠)

● العمال يستعدون لما هو آت ●

التوقيت الصيفي القادم (١٧١) يوما فقط!

لـ حيفا – مكتب «الاتحاد» – قررت لجنة الداخلية البرلمانية، امس الاربعاء، ان يكون التوقيت الصيفي في العام القادم (١٧١) يوما فقط. اي تقصير سبعة ايام عن التوقيت الصيفي الذي عمل به في العام الحالي.

ويبدأ التوقيت الصيفي في العام القادم من (١٣/٣/٩٨) وينتهي في (٦/٩/٩٨).

ويذكر ان وزير الداخلية يعارض كليا العمل بموجب التوقيت الصيفي! ويخضع التوقيت الصيفي لضغوطات قوى دينية، لذلك ينتهي في ايلول.

قريبا اقامة مكتبة للمكفوفين في شفاعمرو

لـ شفاعمرو – مكتب «الاتحاد» – وافقت وزارتا المعارف والعمل والرفاه الاجتماعي على طلب جمعية الجليل تقديم المساعدة المالية وتغطية نفقات اقامة مكتبة قطرية للمكفوفين العرب في شفاعمرو.

وستبدأ جمعية الجليل بانشاء المكتبة قريبا، وذلك بعد ان بدأت فعليا هذا العام بمساعدة بعض المتطوعين والمتطوعات المكفوفين وخاصة الاستاذ يوسف بنات، بطباعة الكتب الدراسية للطلاب.

وقد اعطيت الموافقة في اجتماع مشترك للوزارتين مع مدير عام جمعية الجليل د. باسل غطاس بحضور مدير قسم الثقافة في وزارة المعارف د. دان رونين، ومدير قسم الثقافة العربية موفق خوري، ومدير قسم التأهيل المهني في وزارة العمل شلومو فركش ومدير قسم خدمات المكفوف يوسف كورسيا ويوسف جبر مسؤول خدمات المكفوفين العرب.

مصرع شاب من جديدة في حادث طرق مروع

لـ عكا – مكتب «الاتحاد» – توفي الشاب غسان رفيق نصراوي (٢٤ عاما) من قرية جديدة، امس الاربعاء، متأثرا بجراحه التي اصيب بها، امس الاول الثلاثاء، جراء اصطدام سيارته بحافلة.

ووقع الحادث المروع في احد شوارع تل ابيب. اذ كان الفقيد متوجها الى جامعة تل ابيب حيث كان يدرس موضوع الاقتصاد. ولم يبق امامه سوى ثلاثة اشهر لكي يحصل على اللقب الاول.

● غسان نصراوي ●

وقد عم الحزن والاسى قرية جديدة، التي شيع اهلها والقرى المجاورة جثمان الفقيد الى مثواه الاخير، امس.

ويشار الى ان قرية جديدة فجعت قبل (٣) اشهر بمصرع ثلاثة شبان على شارع حيفا – تل ابيب السريع.

محاميا «لجنة الاربعين» و«جمعية حقوق المواطن» في رسالة الى وزير الداخلية

ما هي المصلحة العامة والملحة التي تحتم هدم روضة اطفال عرب؟

□ حيفا – مكتب «الاتحاد» – بعث المحاميان ايهاب حسن من المركز القضائي للجنة الاربعين، ودانة الكساندر من جمعية حقوق المواطن، برسالة الى وزير الداخلية، الياهو سويسا، انتقدا فيها قيام اللجنة اللوائية، للتنظيم والبناء التابعة لوزارة الداخلية في النقب باصدار امر هدم اداري ضد روضة الاطفال، التي افتتحت، مؤخرا، في قرية عوجان غير المعترف بها.

واعرب حسن والكساندر عن استهجانهما من الدوافع التي دعت لجنة التنظيم والبناء الى اصدار هذا الامر، وتساءلا: ما هي المصلحة العامة والملحة التي تحتم هدم مبنى يستخدم لتنشئة الاطفال، في وقت تعرف فيه لجنة التنظيم انه لا يمكن اقامة روضة قانونية في القرية بسبب سياسة عدم الاعتراف، التي تعتبر كل مباني القرية غير قانونية.

وقالت الرسالة، اذا كانت اللجنة تلصق بذوي الاطفال تهمة ما، فما هو ذنب الأطفال لتتم معاقبتهم. واكدت: ان اهالي عوجان لم يرتكبوا اي ذنب، فهم يعيشون في المنطقة قبل قيام الدولة، وانضمت اليهم فيما بعد عائلات اخرى، نقلت عنوة من اراضيها الى منطقة عوجان. وفي حين يحرم اهالي القرية من الخدمات الاساسية

لقد رأى الاهالي ان اقل ما يمكن ان يقدموه لاطفالهم هو اقامة هذه الروضة، التي تم استيعابها في احد المباني القديمة، الذي تبرع به احد اهالي القرية.

وتطرق حسن والكساندر الى سياسة واساليب الاضطهاد التي تمارس ضد عرب النقب لارغامهم على الرحيل عن اراضيهم الى القرى السبع التي تم اقامتها لتركيزهم.

واكدا ان غالبية عرب النقب يرفضون الانتقال الى هذه القرى، التي لا تتلاءم وتقاليدهم.

وطالب حسن والكساندر الوزير بالعمل على التوصل الى حل شامل لقضية القرى غير المعترف بها، على اسس انسانية تأخذ بالاعتبار الحاجات الضرورية للسكان، وتحكيم الرأي قبل الاقدام على اصدار اي امر هدم آخر.

قراء «الاتحاد» يحصلون على تخفيض ٢٥٪ في مهرجان المسرح الآخر في عكا

□ حيفا – مكتب «الاتحاد» – تم الاتفاق بين ادارة مهرجان المسرح الآخر في عكا وادارة صحيفة «الاتحاد» على ان يتم تخفيض بنسبة (٢٥٪) على اسعار تذاكر الدخول للمسرحيات لجميع قراء الصحيفة. وذلك باحضار القارئ كوبونا خاصا سوف تنشره تباعا في الجريدة حتى موعد المهرجان من ١٨/١٠ الى ٢١/١٠.

ويذكر ان المهرجان سيقدم هذا العام (٨) مسرحيات ضمن المسابقة الرسمية و(٦) مسرحيات ضمن مسابقة الدفينات، وعشرات الاعمال المسرحية الضيفة وعروض الشوارع وغيرها، كما انه سيعاد تقديم مسرحية «حلم عربي» الحاصلة على الجائزة الاولى في المهرجان السابق، وذلك نزولا عند رغبة المشاهدين والاقبال الشديد عليها.

اتحاد الشبيبة الشيوعية – قطاع شفاعمرو

تدعو الرفاق اعضاء اللجان المحلية ومسؤولو اللجان في الفروع الى حضور اجتماع القطاع الموسع وذلك اليوم الخميس الموافق ١٨/٦/٩٧ الساعة السادسة مساء في نادي الحزب في مدينة طمرة.

مواضيع البحث:

- بيان سياسي.
- امور تنظيمية – برنامج عمل للقطاع للفترة القادمة.

يشارك في الاجتماع الرفيق: عمر حمدي سكرتير عام الشبيبة.

باحترام
سكرتارية القطاع

رأس العامود ... مصنع لانتاج الارهاب

الجمعة ١٩ ايلول ١٩٩٧

في الجزائر.. يصيحون «الله اكبر..» ويذبحون!

هل تعرف لأي صندوق مرضى أنت تابع؟!

هل سيشهد الريف المصري انتفاضة قريبة؟!

راس العامود.. معركة خاسرة للجميع!

■ قبل يومين، التقيت صديقا معروفا كشخصية سياسية بارزة بين جماهيرنا العربية في اسرائيل، وهو عائد لتوه من راس العامود في عز الاستيطان اليميني الاستفزازي. قال، وبالحرف الواحد:

«عندما شاهدت المستوطنين.. وممارساتهم واستمعت لصراخهم وشتائمهم.. ورأيت كيف تعاملهم الشرطة وبالمقابل كيف تعامل المتظاهرين الفلسطينيين، قلت في نفسي: الآن افهم هؤلاء الذين ينضمون الى «حماس» وغيرها ويستسلمون لليأس ويبدون الاستعداد لتفجير انفسهم»..

كلام خطير ومذهل من دون شك، خصوصا وانه جاء من شخصية متمرسة في العمل السياسي خلال سنين طويلة، واعرفه من اشد انصار السلام والتعايش السلمي، قولا وفعلا وايمانا. وقلت في نفسي: ان كان مثل هذا القائد البارزفي حركات السلام يفكر بهذه الطريقة، فهل نستبعد عن الانسان العادي البسيط ان يقدم على تطبيق هذا الفكر؟!

□ □ □ □

بالطبع، لا خشية لدينا ان يتحول ذلك المسؤول السياسي، الى انتحاري يمارس الاعمال الارهابية. فهو يعارض بل يحارب هذه الاعمال، منذ فتح عينيه على السياسة. ويعرف مدى اخطارها على مصلحة السلام ومصلحة البلاد ومصالح الشعبين.

وبالطبع، لا خشية لدينا على قراء «الاتحاد» ان يصبحوا، بعد هذا الكلام، ارهابيين او مؤيدين او متفهمين للارهاب، فنحن ذوو حصانة ضد هذا النهج، اكثر من اي مدع لمكافحة الارهاب في هذه الدولة.

ولكن، هل بامكاننا ان نتجاهل هذا الشعور؟!

هل يستطيع احد ان ينفي قناعتنا بأن الممارسات الاستيطانية الاستفزازية في القدس الشرقية وغيرها من الاراضي الفلسطينية المحتلة والعديد العديد من الممارسات الاستفزازية الاخرى، من تجميد مفاوضات السلام.. الى الحصار.. الى التعامل الاستعلائي المهين مع الشعب الفلسطيني وقيادته.. الى.. والى.. والى..، تعتبر مصنعا نشطا لليائسين وبالتالي للارهابيين؟!

وقصة الاستيطان في راس العامود هي نموذج فقط، قد تكون الشرارة لاشعال اللهيب، وقد يتم تأجيل اشتعالها. لكن النموذج بحد ذاته يحكي القصة كلها. ويكشف الاخطار كلها.

وحتى لو حلّت مشكلة راس العامود اليوم او ليلة امس، فسيبقى النموذج حياً، لاننا سنشهد تكرارا له في احياء اخرى او مواقع اخرى او قضايا اخرى.. في القريب العاجل.

ومن جهتنا، نلاحظ للاسف، ونأمل ان تكون تقديراتنا مخطئة، ان مشكلة راس العامود هي اختبار اولي في مشروع مخطط لاحداث انفجار كبير في المنطقة لا ينسف العملية السلمية فحسب، بل ينسف مفاهيم وقناعات جديدة سادت بين الشعبين في المنطقة منذ مؤتمر مدريد للسلام (عام ١٩٩١). فاليمين لا يخفي ذلك ابدا.. وهذه ادلتنا على ما نقول:

□ □ □ □

اولا: اليمين يزعم بسذاجة غير بريئة ان الاستيطان اليهودي في راس العامود قانوني. فالبيت اصبح ملكا لليهود، بموجب عقد شراء وبيع، دفع ثمنه ٢٥٠ الف دولار لصاحبه العربي. وحي راس العامود هو احد احياء القدس الموحدة، حسب القانون الاسرائيلي الذي سن زمن حكومة حزب «العمل». فما هذه الضجة اذن؟!

كل ما قيل اعلاه صحيح. لكن تنقصه معلومية واحدة اساسية: ان القانون الاسرائيلي ليس قانونا الهيا. وان القدس الشرقية، في نظر الفلسطينيين وفي نظر ثلث الاسرائيليين على الاقل، وفي نظر العالم كله، وفي نظر القانون الدولي، مدينة محتلة بالقوة. وكل الاستيطان اليهودي فيها غير شرعي.

ولكن.. وبما ان الشعبين، الاسرائيلي والفلسطيني، قررا – بواسطة قيادتيهما – الجنوح الى السلام والتعايش السلمي، بدأا مسيرة مفاوضات لتقريب وجهات النظر والقلوب وايجاد حلول يتم بواسطتها التجاوب مع المطالب المشروعة لكل طرف. ولهذا الغرض، التقيا في مدريد اولا وفي اوسلو ثانيا، ان لا يقوم اي منهما بالمبادرة الى تعميق الازمة بينهما. وهذا ما تسميه الولايات المتحدة «خطوات من جانب واحد». وما نلاحظه هو ان حكومة اسرائيل الحالية، او القوى والمؤسسات الشعبية المنضوية تحت لوائها، تعمل بشكل مقصود لنسف هذا المفهوم بالذات. وهي منذ المماطلة في مفاوضات السلام ورفض رئيس الحكومة، نتنياهو، الالتقاء بالرئيس ياسر عرفات، قبل سنة ونصف، تواصل اجراءات ذات «الجانب الواحد» بشكل منهجي. وبينها: فتح النفق تحت اسوار القدس قبل سنة بالضبط، اختراع الحصار المزدوج على الاراضي الفلسطينية، تجميد المفاوضات السلمية، الاصرار على فتح اتفاقات اوسلو وتغييرها (في اتفاق الخليل)، الامتناع عن تطبيق ٣٤ بندا في اتفاقات اوسلو، الغاء الانسحاب الاول والتهرب من الانسحاب الثاني.. وغيرها.



● طفل فلسطيني بين هراوات وبنادق الجنود، أمس الأول، في رأس العامود ●

فحتى لو كان المستوطنون اليهود في راس العامود ذوي مبادرة فردية موسكوفيتشية ولم يكونوا منفذي اوامر لنتنياهو او لشارون، فان سياسة الحكومة وفرت لهم الغطاء، وشكلت لهم السند والدعم. فكم بالحري اذا كان هنالك يهودي مليارديرمثل موسكوفيتش، يشتري البيوت والضمائر والوزراء والاحزاب والمستوطنات؟!

□ □ □ □

ثانيا: اليمين، الذي يجعل من كل شيء سياسة، يجعل من ولادة الاطفال سياسة، يجعل من التوراة ومن النبيذ ومن البيت ومن الخبز ومن الرياضة ومن الفن سياسة في سياسة، يقرر فجأة ان سكنى اليهود في راس العامود ليست سياسة. «بالعكس، نحن نريد ان نثبت اننا، اليهود، دعاة الجيرة الحسنة مع العرب. فانظروا كيف يعيش اليهود في حي سلوان، الذي دخلوه في مطلع هذه السنة. اسألوا السكان العرب بالسرّ عن رأيهم. انهم الآن يعارضون جيرتنا فقط لارضاء القيادة السياسية»، كما قال موسكوفيتش.

لن نناقش كذبة البعد عن السياسة. ولكن، لا بأس من معالجة موضوع الجيرة الحسنة.

اليمين، يريد ان يقنع الجمهور، وليس الاسرائيلي فقط، بأن العرب يرفضون العيش بسلام مع اليهود.

والوزير شارون اضاف: «اليهود يسمحون للعرب بالسكن في بئر السبع، نتسيرت عيليت».

والهدف هنا ايضا تشويه الواقع.

العرب في اسرائيل، الذين يسكنون في بئر السبع، ونتسيرت عيليت وغيرهما، هم مواطنو دولة اسرائيل ويسكنون في بلدات باتت جزءا لا يتجزأ من دولة اسرائيل وليست مدنا محتلة. بينما عرب القدس الشرقية هم مواطنو الدولة الفلسطينية (المسماة حاليا كيان السلطة الوطنية الفلسطينية) يرشحون ويصوتون للمجلس التشريعي الفلسطيني، وهذا حسب اتفاقات اوسلو وباعتراف وموافقة اسرائيل والادارة الامريكية.

فالطعن في هذا العنصر، هو ضربة اخرى مخططة لاتفاقات اوسلو.

□ □ □ □

ثالثا، وهو الاهم والاخطر: هناك قناعة بأن هذا الاستيطان الاستفزازي من شأنه ان يشعل انتفاضة فلسطينية من نوع جديد. قد تكون مسلحة. وقد تكتفي بالحجارة. وقد تتخذ شكلا لايستطيع احد تصوره.

هذه القناعة موجودة ليس فقط لدى القيادة الفلسطينية وحسب، وليس لدى اليسار الاسرائيلي وحده ولا الغرب.. بل لدى اوساط سياسية في اليمين الاسرائيلي ولدى معظم خبراء الامن في اسرائيل من قيادة الشرطة (ولديها بعض التحفظات) ومن قيادتي الجيش والمخابرات العامة.

لكن هناك اوساطا في اليمين الحاكم، مثل الوزير شارون، ذي النفوذ المتصاعد في الحكومة، والوزراء ايتان وايدلشتاين ويتسحاق ليفي، يقولون: «انهم يهددوننا بالارهاب الفلسطيني. فان تنازلنا الآن في راس العامود، فسنتنازل غدا في القدس كلها».

وفي الماضي سمعنا مثل هذا الادعاء من السيد نتنياهو نفسه، قائلا: «بالتهديد لن تحصلوا على شيء»، خصوصا بعد فتح النفق.. حين رضخ نتنياهو للتهديد.

وما نلاحظه اليوم هو ان اليمين الحاكم يريد ان يضع حدا نهائيا لهذا التهديد، بأن يقول: «تعالوا نجرّبكم! فها نحن لا نخلي مستوطني راس العامود. فماذا ستفعلون؟!».

انتفاضة مسلحة؟

حسنا، ها هو الجيش الاسرائيلي ينشر في وسائل الاعلام، انه يجري منذ عدة اشهر تدريبات على حرب الانصار وحرب المدن، لمواجهة خطر انتفاضة مسلحة في الاراضي الفلسطينية. وانه حصل على اسلحة جديدة ناجعة، خصيصا لمثل هذه الحالات. وانه يطور حاليا وسائل قتالية جديدة لسد احتياجات هذا النوع من المعارك.

واولئك الجنرالات الذين حذروا، فقط قبل بضعة اشهر، من ان دخول الجيش الاسرائيلي الى المدن الفلسطينية سيكلف مئات القتلى (مقابل الوف القتلى الفلسطينيين)، لم نعد نسمع اصواتهم: – ابدا. خرسوا او اخرسوا، والله اعلم.

وتقول لهم: هذه مغامرة خطيرة، ستدمر عملية السلام من اساسها. فيكون الجواب في هذه الحالة: هذا هو المطلوب.

ولكن، ليس فقط عملية السلام هي التي ستدمّر، انما العلاقات بين الشعبين، والعلاقات بين اسرائيل والدول العربية كلها. تدمير كل ما بني من آمال في وضع حد للقتال والحرب والعداء وسفك الدماء.

□ □ □ □

ونعود الآن الى ذلك التصريح الخطير من ذلك القائد السياسي المسؤول، وتعالوا نتصور نحن كيف سيكون اثر هذه السياسة. فهل من غرابة في ان تصبح البلاد كلها بمثابة مصنع للارهاب والارهابيين، العرب واليهود؟!

القضية ليست قضية من ينتصر على الآخر ومن ينجح في لي عضلات الآخر. ففي مثل هذه الحرب لا يوجد اي منتصر فالجميع خاسرون. الجميع، بلا استثناء. وان كان اليمين يراهن اليوم على محدودية تأثير قوى اليسار وانصار السلام، فان المسألة اكبر بكثير من حشرها في الميزان الحزبي والانتخابي.

من خلال لقاء ثلاث شخصيات جزائرية بارزة، الطاهر وطار ومحمد المسعودي وعائشة بوباكي، «الاتحاد» تحاول اعطاء الجواب:

ما هو سر المذابح في الجزائر؟!

□ ■ للمسالة جذور عميقة في التاريخ الحديث، تمتد الى عهد الانفتاح الاقتصادي في مطلع الثمانينات، حين نمت طبقة «القطط السمان» وساد الفساد في السلطة والفقر بين الشعب. وزرع الحقد ضد الحكومة وممارساتها. فاستوعبت الجماعات الاصولية الجماهير الغاضبة وجندتها في حرب دموية لا تعرف الرحمة.

● اجرت اللقاءات: آمال شحادة ●



* من مشاهد مذبحة «البليدة» المفزعة *

* المذابح المرعبة التي ارتكبت وما زالت ترتكب في الجزائر، حفرت في قلب كل عربي بل في قلب كل انسان حقيقي، جرحا عميقا أليما وهزت الكيان. وبعد الخروج من صدمة المذابح وفظاعة تنفيذها.. كنا نسأل:

ما الذي يجري في هذا البلد الغالي؟

من يقف فعلا وراء هذه المذابح؟

ولماذا تتم بهذه البشاعة؟

وما هذا التكرار للمذابح، الا توجد حكومة؟! الا توجد دولة؟!

هل يمكن فعلا ان يكون منفذو تلك المذابح متدينين حقا، يدينون بالاسلام، ام هم عملاء الحكومة، كما يزعم بعض المتأسلمين الاصوليين، ام هم عملاء اجانب، كما تؤكد روايات اخرى؟

نحن لا نستطيع الوصول الى الجزائر، لنحصل على اجابات شافية عن هذه الاسئلة. لكننا حاولنا ان نتصل ونعرف. وتمكنا من الوصول الى ثلاث شخصيات جزائرية بارزة، ذات اطلاع على الاوضاع ونعيش مع المأساة الجزائرية يوما بيوم ودقيقة دقيقة هي:

– الكاتب الكبير الطاهر وطار، صاحب رواية «اللاز».

– رئيس تحرير صحيفة «الوطن» الجزائرية، الصادرة باللغة الفرنسية، محمد طاهر مسعودي.

– الكاتبة عائشة بوباكي.

* من القاتل؟

عندما توجهنا اليهم بأسئلتنا، كانت امامنا مجموعة كبيرة من الصور المأساوية التي وفرتها منشورات الاشهر الاخيرة عن المذابح الرهيبة.

– مذبحة بليدي، المنطقة التي تبعد ٣٠ كيلومترا عن الجزائر العاصمة، واحد ابشع مشاهدها قتل الطفل ذي السنوات التسع ذبحا من رقبته واستخراج حنجرته.

– طبيب الاسنان د. فوزي عسلاوي، الذي قتلوه لان زوجته من قيادة الحركة النسائية التقدمية، وهو لا يستطيع إسكاتها. فذهب اليه الارهابي في عيادته الواقعة في احد الاحياء الشعبية، بحجة انه حضر لتلقي العلاج، فقدم له الطبيب العلاج اللازم. وبعد انهاء مهمته قام الارهابي بطعنه بسكين قاتل.

– راضية، الفتاة البالغة من العمر ١٢ عاما، التي نجت من المذبحة بالصدفة. فقد سمعت احد الارهابيين يصدر تعليماته: اذبحوا كل من هو فوق العاشرة من العمر. فقررت ان تكذب. وعندما اقترب منها الارهابي صاحت، انا في الثامنة من العمر، فتركها. ونجت. ولكنها شاهدت بعينيها ما حدث لعائلتها: «قتلوا ابي بالرصاص. ذبحوا شقيقيّ الاثنين بالسكين، ذبحوا جدتي.. من الرقبة. وامي، اغتصبوا امي بوحشية. كبلوا يديها ورجليها وراحوا يغتصبونها الواحد تلو الاخر. ثم قتلوها. ذبحوها حتى انفصل رأسها عن جسدها. تدحرج رأسها نحوي.. فلم استطع حتى ان احضن امي للمرة الاخيرة».

– المرأة التي لم تفهم لماذا ابقوها حية: «ذبحوا كل الرجال في بيتنا، ابي واخي الاكبر واخي الاصغر. ثم اخذوا اختي الصغرى الشابة الجميلة ولا ادري عنها شيئا، اما انا فلقد كتفني احدهم ووضع السكين على رقبتي، لكنه تركني وابتعد. ولم افهم لماذا؟ لماذا ابقوني حية، فأنا اريد ان اموت مثلهم».

هذه بعض القصص التي تناقلتها وسائل الاعلام.

بهذه الطريقة وغيرها قتل عشرات الالوف من الجزائريين. لا احد يستطيع اعطاء احصاء دقيق. هنالك من يقول: العدد ١٢٠ الف جزائري منذ سنة ١٩٩٢، وهنالك من يقول ٧٠ الفا.

ولكن، لنفترض ان العدد ٧٠ الفا فقط.. بل ٥ الفا فقط، فانه رقم كبير، ضخم، فظيع ومريع.

فمن القاتل في الجزائر، من هو قاتل الجزائر؟ ولماذا؟ لاي هدف؟!

وهل يعرف الجزائريون ان عشرات ملايين العرب، بل مئات ملايين البشر في عالمنا، اولئك الذين عرفوا الجزائر من خلال ثورتها الخالدة، من خلال ابطالها الشرفاء، يعتصرون الما لما يحدث لهذا البلد واهله وثورته؟ هل يعرفون اننا نتضامن معهم ونشعر بأسائهم مثلهم ونريد ان نطمئن عليهم وان نراهم وقد خرجوا من هذا المأزق الرهيب؟!

* ادمان على المذابح *

الطاهر وطار، الكاتب العربي العالمي المعروف، محتار.. ومتردد: «من الصعب على الواحد منا ان يعبر عن موقفه من هذه الاوضاع بصراحة. لكن الامر الاشد فظاعة هو ان الجزائريين اصبحوا يعتادون على المذابح، لدرجة الادمان».

رئيس تحرير صحيفة «الوطن» الجزائرية، محمد طاهر مسعودي يشير بأصبع الاتهام الى الاصوليين مباشرة. ولكنه يبدأ حديثه معنا بالاعراب عن التفاؤل من المستقبل رغم قساوة الاوضاع. يقول: «لا اعتقد ان هناك خطرا من سيطرة الاصوليين في الجزائر اذ لا يمكن بالدمقراطية ان يسيطر المسلحون على الدولة».

اما الكاتبة عائشة بوباكي، فترى ان الجزائر بحيرة من امرها وتقول: «ما يجري امر غير مفهوم، فما يثير الجدل ان هذه المذابح تنفذ تحت صرخات «الله اكبر».. والله اكبر» والجيش الجزائري ووحدة الامن، تكون قريبة وتسمع الرصاص لكنها لا تحرك ساكنا.

* الانفتاح.. هنا ايضا *

كل محدثينا ومثلهم الكثير من الخبراء الذين نشروا الابحاث عن الجزائر، يعيدون المشكلة الى فترة الثمانينات، حيث بدأت المظاهرات والاحتجاجات على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الصعبة. في حينه تولى الرئيس هواري بومدين، الشاب (٤٦ عاما) في ظروف غامضة، وكان يسمى عبد الناصر الجزائري. قائد وطني اشتراكي، ابن الشعب المخلص للشعب. وجاء الشاذلي بن جديد ليبدأ نظام حكم جديد. ظاهرة الانفتاح والتعددية لكنه جلب الى الحكم من يسمون «القطط السمان» وسيطر الفساد والمحسوبية واتسعت الهوة بين الفقراء والاغنياء وظهرت الفوارق بين ابناء الشعب وابناء المسؤولين والقياديين وزاد الفقر والبطالة والكثيرون اصبحوا حتى بدون مأوى.

وكما تقول لنا الكاتبة بوباكي، التي كانت آنذاك معلمة ثانوية: «المسلمون الاصوليون كثروا في الجزائر. لقد وصل العشرات منهم من الخارج، من الاقطار العربية بالأساس للتعليم عندنا ورأيناهم عن كثب كيف زرعوا الافكار الاصولية – الرجعية المتطرفة في عقول الطلاب والشبان وزرعوا الكراهية والاحقاد في قلوبهم، وفي العام ١٩٨٨، استغلوا الوضع القائم في الجزائر، والذي اعطاهم بشكل مباشر وغير مباشر، الفرصة للظهور والانتشار بين الناس. فالشعب لم يعد يثق بالسلطة. ولم يثق بمعظم الاحزاب (٦٠ حزبا) التي كانت بمعظمها جمالية او طائفية، فوقفوا مع هذا التيار الجديد، الذي يظهر قريبا منهم اجتماعيا واقتصاديا (في البداية على الاقل). وما ان جرت الانتخابات حتى كانت جبهة الانقاذ الاسلامية قوية جدا، ففازت بغالبية المقاعد (وليس بغالبية الاصوات)، اذ ان الانتخابات هناك جرت على الطريقة المنطقية، ولو جرت على الطريقة النسبية، لما كان للاصوليين اكثرية مطلقة).

وبدأت ظواهر العنف تنعكس على الجزائر بداية بالتهديدات للفنانين والشعراء، والكتاب والصحفيين وكل من عارض سياستهم بصراحة، اذ اعتبروا الموالاة فرضا عليهم»، وتضيف بوباكي: «وفي العام ١٩٩٠ بدأت الحرب التي نسميها بالحرب الدموية والتي ظهرت بداية بين جبهة الانقاذ وقوات الامن الجزائرية ثم شملت المواطنين الابرياء».

وكما تقول السيدة عائشة فان سياسة الخصخصة كانت البداية لتدمير الجزائر، فبموجبها طرد من العمل اكثر من نصف مليون عامل، رضوخا لاتفاقيات صندوق النقد الدولي. وهناك عدد كبير من العمال لم يتقاضوا اجرهم من اشهر طويلة. والدولة تفاوضهم للحصول على هذا الاجر مقابل موافقتهم على تسجيلهم في العمل كمؤقتين. بمعنى آخر لا حقوق لهم. وهذا الامر يزيد من الازمة الاقتصادية والاجتماعية. فليس صدفة ان مناطق كثيرة تسكنها العائلات داخل الخيم وبدون ان تتوفر فيها الحاجيات الاساسية، حتى دورة المياه، وبعد المجازر التي وقعت نجد اليوم مئات الاطفال والمسنين الذين فقدوا عائلاتهم يعيشون حياة مزرية الى حد يضطر البعض الى النوم على قارعة الطريق.. وبالطبع لا يعرفون ماذا تعني المدرسة ولا التعليم.

على خلفية الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية المتدهورة يمكن ان ينشأ وينمو ويترعرع الطفيليون في المجتمع. والبائسون والارهابيون. فهذه اتربة خصبة لهم دائما، في كل مكان وفي كل دين وفي كل شعب.

لكن، تلك الوحشية في تنفيذ الجرائم والمذابح، من اين جاءت؟ بهذه القسوة والبشاعة.. بل الجنون والوحشية.

للاجابة على السؤال، كان لا بد من العودة الى السؤال الاول: من يقف وراءها؟

قبل الاجابة على السؤال الاول، يجدر الحديث عن اختيار الضحية، فبالاضافة الى قتل من يعبر صراحة عن مواقفه المعارضة للتطرف والاصوليين، فان المجرمين يختارون مناطق زراعية، ليتمكنوا من السيطرة عليها والاستفادة منها، ولذلك، كما قالت بوباكي، فان اختيار منطقة البليدي لم تكن صدفة، فهي معروفة بمناطقها الزراعية الواسعة لذا، يختارون بعظم المجازر اللاحين اصحاب هذه الاراضي ليستفيدوا هم بالتالي». وهناك من يشير الى خصائص اخرى لهذه الاراضي تجعلها تساوي ذهبا. هنا تزرع نباتات، تستخرج منها مادة تستعمل في المواد الكيماوية التي تضيف الى العملات الغربية مثل الدولار وغيره لتصعيب عملية تزويرها.

ومن منفذ هذه الجرائم؟

اجابنا الاستاذ محمد طاهر مسعودي: «هذه الجرائم تتبناها الجماعات الاسلامية المسلحة على الغالب. وتفعل ذلك علنا. فقبل تنفيذها اصدروا فتوى تحلل قتل الاطفال والشيوخ والنساء في كل عائلة لا تقف معهم، وتتخذ موقفا محايدا بينهم بين السلطة، ولا حياد. التلوهم»، هكذا جاءت التعليمات.

– «الاتحاد» – ومن اصدر مثل هذه الفتوى؟

* مسعودي: لا ادري. لكنهم اعلنوا عنها ونشرت في شهر نيسان وأيار الاخيرين.

– «الاتحاد» – الحكومة مثلا؟

* مسعودي: لا يمكن.

– «الاتحاد» – هكذا بشكل قاطع لا يمكن. فهناك من يقول ان ميليشيات

حكومية تنفذها؟

* مسعودي: اولا البشاعة التي تنفذ خلال الاعتداءات والجرائم. لا يمكن لأية حكومة ان تقوم بها، لا امام الرأي العالمي ولا المحلي، انها الجماعات الاسلامية فقط.

- «الاتحاد» - في بعض الحالات يقتل اناس يساندون الجماعات الاسلامية الا يمكن ان تكون تلك تصفية حسابات بين المجموعات الاسلامية نفسها؟ ففيها ايضا توجد صراعات.

* مسعودي: الاحتمال وارد بالطبع. وهذا لا يناقض ما اقوله.

- «الاتحاد» - انت اذن تبرئ الحكومة تماما. فكيف تفسر عدم تدخل الجيش الجزائري لحماية المواطنين وخصوصا في البليدي القريبة من العاصمة، وافراد الأمن سمعوا اصوات الرصاص وربما الصراخات ايضا؟

* مسعودي: الجيش لديه مشكلة، اقول انه يسمع اصوات الرصاص والصراخ، هذه ادعاءات فهو عدة مرات لم يسمع بتاتا. لكن المشكلة انه اتخذ موقفا ان لا يخرج من ثكناته الا بأمر من الهيئات العليا. وذلك لأنه في عدة مرات وقع في كمائن. اذ كان يستدعى لمنطقة على اعتبار ان مجزرة تحدث فيها. فيهرعون الى المكان مستعدين لمكافحة الارهابيين. واذا بهم ينصبون لهم كمينا كبيرا. فما ان يصلوا الى المكان المحدد، حتى تفتح النار عليهم. لذا قرروا عدم الخروج الا بأمر.

- «الاتحاد» - وفي البليدي ما الذي جرى؟

* مسعودي: في مثل هذه الحالات الجيش يتصل بالمسؤولين وهذا يأخذ وقتا، وعندما يصلهم الجواب يكون كل شيء قد انتهى. وهذه بطبيعة الحال مشكلة للسلطات ويجري حاليا بحثها للخروج باجراءات.

هذا الأمر سمعناه ايضا من الكاتب طاهر وطار، فمشكلة الكمائن التي تنصب للجيش، اصبحت امرا معروفا للجميع، وهذه مشكلة بحد ذاتها، ويبقى الضحية الشعب الذي لا يشعر بأمان واستقرار. من جهة يستبعد الكاتب وطار هو الآخر ان تكون الحكومة هي المسؤولة عن مثل هذه المجازر ويقول: «النظام مسؤول امام التاريخ، ولكن لا يمكنه ارتكاب جرائم في حق الانسانية. هذا امر يصعب حدوثه وقبوله. باعتقادي تبقى المسألة عصابات، نعم انها عصابات ارهاب تجيد مهنتها الوحشية الهمجية ويمكن ان تخدم عدة اهداف وعدة اوساط، محلية واجنبية». ويضيف الوطار: «المعلومية، ان الجبهة الاسلامية للانقاذ تستنكر ارتكاب معظم هذه الاعمال، غيرها لا يفعل ذلك».

وما هي المصلحة وراء ارتكاب مثل هذه الجرائم.

* سؤال لا استطيع الاجابة عليه. ولكني استطيع القول ان المستفيدين من تنفيذ هذه الاعمال، هم الذين يخافون من الاسلام، كقطب جديد يملك اموالا كثيرة وقدرات فكرية وثقافية في اسيا.

- «الاتحاد» - يعني عصابات تنسق مع الخارج؟

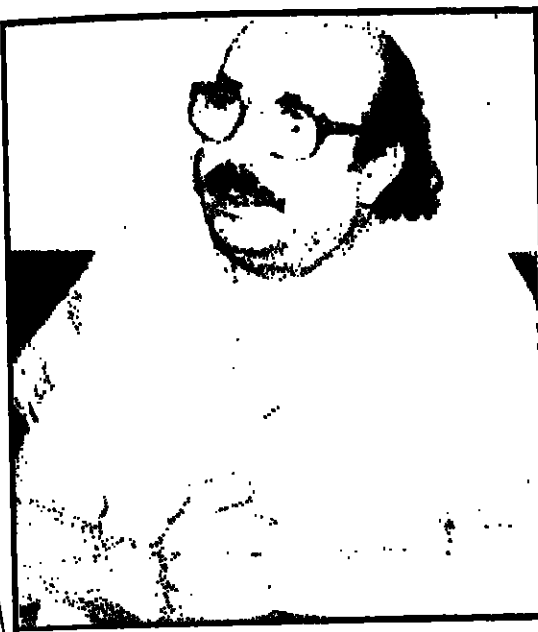
* الوطار: اعتقد ذلك، وهناك استفادة في العالم الغربي مما يحصل في الجزائر عموما، كما لو ان هناك خطرا امام ظهور قطب اسلامي في المستقبل او امام طرح الاسلام كبديل للرأسمالية، فبعد انهيار المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي، اصبح التخوف من الظاهرة الاسلامية امرا معروفا. واليوم ارى الاسلام يخرق سواء من طرف انصاره او من الناس غير الواعين له. لكن هذا الكلام لا يبرئ المنظمات التي ترفع لواء «الاسلام هو الحل». فهي تستعمله كذبا وديماغوغية وينجرف وراءها اسلاميون بسطاء وساذجون.

الكاتبة بوباكي تقول صراحة: «لا يمكننا تحديد هوية المجرم، فالصورة في الجزائر غير واضحة. ولم يعرف بالضبط من يقف وراء هذه المجازر، هل هي تلك التي نسميها «المافيا» ام انها الحركات الاسلامية او انهم مبعوثون من الخارج بقصد اعادة الجزائر سنوات طويلة الى الوراء. ما يمكننا قوله اليوم انهم ليسوا بشرا، والجيش ووحدات الامن، لا تقوم بواجبها كاللازم للقضاء على هؤلاء المجرمين، وترى الحل بتوزيع الاسلحة على المواطنين، واليوم هناك اكثر من نصف مليون جزائري يحملون السلاح».

ومن جهته يرى الكاتب الوطار، ان بامكان الحكومة ان تمنع وقوع مثل هذه المجازر، ويقول: «والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لا تعلن الحكومة حالة منع التجول في المساء، على الاقل من التاسعة مساء حتى الخامسة صباحا، فهؤلاء الذين ينفذون هذه الجرائم، يتجولون في ساعات المساء بين المواطنين، ثم يتحينون الفرصة ويقتحمون بيوت الضحايا، وباعتقادي منع التجول سيساعد على الاقل للتخفيف من الحالات»، ويعتقد الوطار ان الحكومة لا تفعل ذلك ليس الا مكابرة او تهاونا. «وفي الحالتين، هي تبعد الامان عن الناس».

* الخلافات *

تبقى اصابع الاتهام الاولى موجهة لجبهة الانقاذ الاسلامية، خصوصا بعد ان ظهرت بينها الخلافات في الآونة الاخيرة.فقد اصبح هناك نقاش شبه علني بين الجماعات الاسلامية حول تأييد او عدم تأييد الارهاب.


* الطاهر وطار *

المسعودي يقول لنا: «اطلاق سراح عباسي مدني، زعيم جبهة الانقاذ، كان خطوة من الحكومة نحو الوفاق الوطني. وكان الشرط لاطلاق سراحه، ان يعلن ادانته للارهاب. وقد جرى حوار معه حول هذا الموضوع منذ حوالي السنة. وانتقل النقاش الى مؤسسات وهيئات جبهة الانقاذ، داخل الجزائر وخارجها. وقررت الغالبية رفض شرط الحكومة، وكان اشد الرافضين الشيخ بلحاج، وهو ايضا معتقل. ويعطي الارشادات من سجنه لتنفيذ العمليات الارهابية».

وسألناه: لكن عباسي مدني، خرج الى الرأي العام يدافع عن عمليات الارهاب. ويرد على الامين العام للامم المتحدة، كوفي عنان، قائلا: ونحن مستعدون للهدنة اذا وافقت الحكومة على مطالبنا واهمها اجراء انتخابات

(البقية على ص ١٦)

آراء جزائرية

■□ لويزا حنون، رئيسة حزب العمال، اكبر حزب معارضة في الجزائر:

- الحكومة تتحمل المسؤولية الاساسية عما يجري في الجزائر. هنالك حرب ارهاب، وهؤلاء الارهابيون مجرمون. ولكن الحكومة لا تعالج القضية بشكل جذري. هنالك انهيار اقتصادي كارثي، والحكومة تخضع لتعليمات صندوق النقد الدولي، تمارس الخصخصة وتطرد العمال (اكثر من ٥٠٠ ألف عامل فصلوا من اماكن عملهم، بلا حماية من الحكومة) وتؤخر دفع المعاشات للموظفين ومستخدمي الدولة ثلاثة اشهر وتضرب حقوق العمال النقابية وحقوق التقاعد. وحقوق الانسان منتهكة في الدولة من الحكومة ومن الارهابيين. وفي مثل هذا الوضع اصبح الشباب الجزائري امام خيارين، اما التجند في الشرطة او الانضمام لمنظمات الارهاب. من يدفع اكثر. ولم تعد حياة الانسان ذات قيمة.

■□ محيي الدين عميور، مستشار الرؤساء بومدين وبن جديد وبوضياف:

- مشكلة الجزائر الآن هي الارهاب. جذور المشكلة تعود الى مرحلة بدايات الثورة. لقد بدأنا بعملية بناء دولة عربية اسلامية اشتراكية. وعشنا فترة طويلة تحت نظام حكم الحزب الواحد. كان الخطأ الاول في طول هذه الفترة. في البداية كانت منهزمة. فعندما تكسر الساق من الضروري ان توضع في الجبس لفترة معينة. لكن، اذا طالت الفترة، يعفن الجلد ويتقيح. هذا الوضع، مع انهيار الأوضاع الاقتصادية ونشوء طبقة الغناء الفاحش، افرز ازمة ١٩٩١ في الانتخابات. انني اعارض الاصولية، ولكن اذا فازت في الانتخابات كان يجب اعطاؤها الفرصة. كان علينا ان نتعامل بلغة الحوار. الجزائر عاش من سنة ٦٢ الى ١٩٩٢ من دون ان تراق قطرة دم واحدة على خلفية سياسية. الكبت الحكومي، اتاح للارهابيين ان يخرجوا الى النور. والارهابيون ليسوا عقلي التيار الديني الاسلامي. فيوجد بينهم الكثير من العملاء الاجانب الذين لا يريدون الخير للجزائر.

■□ الاخضر السائحي، شاعر ونقابي قديم ومن قادة الثورة:

- جذور الازمة في الجزائر تعود الى الفترة ما بعد وفاة هواري بومدين. فمنذ ذلك الحين لم يشهد الشعب الجزائري سلطة وطنية تعبر عن مصالحه الوطنية والفردية، لذلك هنالك غضب وحقد ونقمة. وما يحدث اليوم هو تعبير عن هذا. وبالمقابل، لم تفهم الحكومة ما يحدث. ولم تقم بعمل شيء لكسب ثقة المواطن، بينما الحركات الاسلامية الاصولية، التي لا تخدم سوى مصالح قادتها الشخصية، تكسب ثقة الناس بالتأثيرات المادية والمعنوية والتضليلية.

■□ ليلى العسلاوي، احدى النساء القليلات في العالم العربي التي وصلت الى وظيفة قاضية وعملت مستشارة في الحكومة واستقالت احتجاجا على سياستها. وقد قتل الارهابيون زوجها، طبيب اسنان، لانه لم ينجح في اسكاتها:

- الارهاب ليس وسيلة فحسب، انما هو ايديولوجية. الحكومة سمحت به منذ سنة ١٩٨٦ عندما كان مجرد فكرة بالامكان محاربتها بالدمقراطية. لقد تنازلت الدولة عن سلطتها لصالح هؤلاء، وخلقت لهم الجمهور المؤيد عندما فرضت سياسة اقتصادية لاغناء الاغنياء وافقار الفقراء. كان زعماء جبهة الانقاذ يقولون للناس المحرومين: «نحن لا نغذكم ولا نعطيكم السكن. لكن الشباب الذي يبيت في الشارع، نحن نبيت معه». ثم يهتف «الله اكبر» فينجرف معهم الناس. وبالمناسبة، عندما يذبحون امرأة او طفلا.. ايضا يصيحون «الله اكبر». ويسمون ضحيتهم بالطاغوت، اي بما هو اكبر واخطر من الشيطان.

(عن «نصف الدنيا»)

الجزائر.. شيء من التاريخ

● الجزائر، تعتبر احدى كبريات الدول العربية من حيث المساحة واكبر دولة في افريقيا. مساحتها مليونان و ٣٨١ الف كيلومتر مربع، وعدد سكانها ٢٢ مليون نسمة.

● خضعت للاستعمار التركي، لكن الاستعمار الاشد بطشا وتأثيرا، كان الاستعمار الفرنسي الذي دام ١٣٠ عاما، وحاول فيه الفرنسيون جعل الجزائر، وطنا وشعبا، جزءا من فرنسا بحيث تمحى معالمه العربية.

● انتصر الشعب الجزائري وفاز بالاستقلال سنة ١٩٦١ من خلال ثورة دفع ثمنها أكثر من مليون شهيد.

● حكم الثورة الأول بقيادة احمد بن بلا لم يدم طويلا، اذ ثار عليه هواري بومدين. وفسر السبب في الانقلاب العسكري، لمنع بن بلا من اقامة حرس جمهوري يكون بديلا او موازيا للجيش. وقال بومدين يومها: لو سمحنا باقامة الحرس الجمهوري، لقامت حرب اهلية.

● بومدين كان قائدا محبوبا في الجزائر، كما جمال عبد الناصر في مصر، مع انه عمل بنظام الحزب الواحد. لكنه احرز الاستقرار الاقتصادي، وادار نظاما اقرب الى الاشتراكية. وادى دورا بارزا في الحركة الوطنية التحررية العربية والافريقية. ووضع مسألة تعريب الجزائر في رأس سلم الاهتمام.

● توفي بومدين وهو في السادسة والاربعين من العمر، في ظروف غامضة. وحل محله الشاذلي بن جديد الذي ادار سياسة انفتاح سياسي واقتصادي. وفي عهده انتعشت طبقة «القطط السمان» وساد الفساد، واتسعت الهوة الاقتصادية والاجتماعية. وتفسخت جبهة التحرير الوطني، واعلن قيام ٦٠ حزبا معظمها حمائلية.

● في الانتخابات البلدية سنة ١٩٩١ فازت جبهة الانقاذ الاسلامية بغالبية المقاعد. لكن الرئيس بن جديد الغى هذه الانتخابات بدعوى انها اتسمت بالفوضى وبالتزوير. ثم استقال. وهكذا بدأت حالة من الفوضى العارمة، التي ما فتئت ان تحولت الى صراع دموي، قتل خلاله الرئيس الجديد محمد بوضياف (الذي بدأ في ممارسة سياسة محاربة الفساد ووعد باجراء اصلاحات دمقراطية حقيقية)؛ ومع قدوم الأمين زروال، لم تتوقف الحرب بل تفاقمت، رغم اجراء انتخابات دمقراطية (فاز بها بنسبة ٦١٪). واصبح هدف الحرب ليس السلطة فحسب، بل تصفية الناس البسطاء والنساء والاطفال.

(ارشيف «الاتحاد»)



تقرير وتصوير: احمد حمدي

□□ في الآونة الأخيرة، فوجئ آلاف الأشخاص بان عضويتهم نقلت من صناديق المرضى التي يتبعون لها الى صناديق أخرى دون علمهم. واكتشفوا اللعبة التي قام بها بعض الشباب والصبايا من وكلاء ووكيلات صناديق المرضى المختلفة!

□□ هؤلاء الوكلاء اتصلوا بالناس.. اخذوا ارقام هوياتهم.. ونقلوا عضويتهم الى الصناديق التي يعملون لصالحها. والنتيجة متاعب لآلاف الناس، خاصة للمرضى المزمنين منهم. فهل هذه «منافسة شريفة» بين الصناديق؟!

● منذ سريان مفعول قانون التأمين الصحي الجديد تغير شكل وظروف الانتساب الى صناديق المرضى المختلفة، وبطبيعة الحال وفقا لذلك القانون فقد بدأ التنافس بين الصناديق. ولا شك ان المنافسة من أجل راحة المريض وتحسين وسائل وطرق العلاج وتطويرها.. هي أمر جيد. ولكن هذا التقرير يلقي الضوء، على الوجه الآخر لـ «عملة» هذه المنافسة.

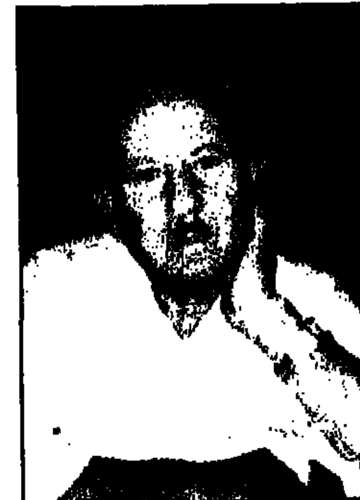
ففي الآونة الأخيرة نلاحظ انتشار ظاهرة جديدة في الوسط العربي، تستعمل فيها طرق الغش والخداع – كما أكد لنا الكثير من الناس، اذ يتصل بعض وكلاء ووكيلات صندوق مرضى معين أو آخر، تلفونيا، باعضاء صندوق مرضى آخر.. يأخذون منهم أرقام الهويات بحجة اجراء استفتاء عام حول خدمات صندوق المرضى الذي يتبعون له.. لكن سرعان ما تظهر الخدعة حين يكتشف الشخص الذي أعطاهم ارقام هويته وهويات افراد عائلته انه تم نقل عضويتهم الى صندوق مرضى آخر! ويتم نقل الاسماء دون توقيع اصحابها او تعبئة الاستمارة اللازمة!

وبهذه «الطريقة» فوجئ آلاف الأشخاص، خلال الأشهر القليلة الماضية، بنقل عضويتهم دون علمهم، لشرعت صناديق المرضى التي كانوا يتبعون لها سابقا باعادتهم اليها.

لكن هذا العمل غير القانوني سبّب المتاعب لآلاف الناس، خاصة المرضى المزمنين منهم، ومن هم بحاجة لمتابعة طبية متواصلة. ففي صندوق المرضى الذي كانوا يتبعون له في البداية كان لهم ملف طبي وطبيب خاص، ونقلهم فجأة سبب لهم متاعب صحية ونفسية لا تُحتمل.

وفوق ذلك، فوفقا للقانون، يجب أن تمر فترة (٦) أشهر حتى يتمكن العضو «المتنقل» من العودة الى صندوق المرضى الأول. وعليه ان يقدم طلبا لنقله حتى تاريخ ١٩٩٧/١٠/٣٠، فبعد هذا التاريخ ستكون اجراءات تقديم الطلب والنقل أصعب. هذا ناهيك عن العراقيل التي تضعها بعض الصناديق امام زبائنها لتسبب لهم المتاعب.

السيد محمود سعيد سواعد من قرية عيلبون يقول: «فوجئت عندما وصلت الى عيادة صندوق المرضى العام في قرية عيلبون قاصدا العلاج، بانني لست عضوا في هذا الصندوق، اذ تم نقلي دون علمي الى صندوق «كوبات حوليم لئوميت»، ودون موافقتي. وعندما عدت الى البيت سألت زوجتي ان كانت هي قد قامت بنقل عضويتنا، فنفت ذلك. ولكنها تذكرت انه قبل شهر اتصلت بنا احدى الصبايا طالبة ارقام هويات افراد العائلة، وذلك لاجراء احصاء حول الخدمات التي يقوم بها صندوق المرضى العام خدمة لاعضائه، وسرعان ما ظهرت حقيقة هذه الصبية، وان هناك غشا وخداعا».



● مناع خطيب



● محمود سعيد سواعد



● محمود علي الصباح كعبية

ويضيف: «توجهت الى ادارة «كوبات حوليم لئوميت» طالبا ارجاعي الى صندوق المرضى العام واستفسرت كيف تم نقلي دون علمي او دون التوقيع على اي مستند فلم يرد المسؤول على استفساري فطلبت منه ابطال العضوية. وبعد مماطلة طويلة ووعود عرقوبية تمكن الموظف من نقلي الى حيث كنت».

وتقول السيدة هدى عواد، من قرية عيلبون ايضا «اتصلوا بالبيت وتحدثت معهم، فطلبت المتحدثة رقم هويتي وهويات زوجي وأولادي. وعندما استفسرت عن السبب جاء الرد بانهم يجرون احصاء حول خدمات صندوق المرضى العام. ولكن للأسف بعد اسبوعين ظهر ان هذا الاتصال ماهو الا لعبة، حيث فقدنا عضويتنا في الصندوق ونقلنا الى صندوق آخر».

وأضافت عواد: «لم يخطر ببالي ان يصل الغش الى هذا الحد. فنتيجة لهذا العمل تغلبنا كثيرا اذ ان عيادة صندوق المرضى الذي كنا تابعين له قريبة من مكان سكناتا، ونحن مرتاحون من خدماتها». وتساءلت «لماذا يستعملون هذه الأساليب المضرة والتي تجلب الغلبة والضرر للناس؟».

وتقول السيدة عفاف خطيب، من عيلبون: «ذهبت الى صندوق المرضى كالمعتاد لتلقي العلاج ففوجئت بأنني لست عضوا فيه، وانه تم نقلي الى صندوق آخر. فطلبت من المسؤولين في هذا الصندوق الغاء عضويتي وارجاعي الى حيث كنت، وفقط بعد مداولات متعبة وعتاب وصراخ عدت الى حيث كنت. ان هذه اساليب زعرنة وقلة حياء. وأطالب المسؤولين بالتحقيق فيها».

ويقول السيد محمود علي الصباح كعبية، وهو يعيل (١٢) شخصا بالاضافة اليه وزوجته، وجميعهم كانوا اعضاء في صندوق المرضى العام: «لقد نقلوا عضويتي وعضوية اولادي دون علمي. ولم يطلب مني اي أحد ذلك، ولم يتصل بي احد. ولا أعرف لأي صندوق نحن تابعون لأعالج زوجتي المريضة. ان هذه سرقة وقلة حياء، وعلى المسؤولين ان يعالجوا الأمر».

وتروي السيدة جانيت خليل من عيلبون ما جرى لها من قبيل ذلك، فقد وقعت هي وعائلتها ايضا ضحية لهذه الأساليب الملتوية.

اما السيد مناع خطيب من شفاعمرو والذي جرت له حادثة مشابهة فيقول: «ان هذه الأساليب هي زعرنة ويجب وقفها وأن لا نكون رهائن بأيدي بعض صناديق المرضى. لذلك أطالب المسؤولين بالتحقيق في الموضوع ومحاكمة المسؤولين عن هذه الأعمال».

ويقول السيد عماد نميري من شفاعمرو: «كنت عضوا في صندوق المرضى «لئوميت»، ولكن قبل شهرين فوجئت وبقدرة قادر بأني عضو في صندوق المرضى العام، دون معرفتي ودون تعبئة اي طلب ودون موافقتي، فتوجهت الى ادارة صندوق المرضى «لئوميت» للاستفسار عن نقل عضويتي دون اذني، فاذا بالمسؤولين في ادارة «لئوميت» لا يعرفون كيف حدث ذلك. ويضيف: «ان الصراع القائم بين صناديق المرضى المختلفة يضر قبل كل شيء بالأعضاء وخاصة بالمرضى. وكما نلاحظ فان هذا الصراع أخذ يشتد بعد اقرار القانون الصحي الالزامي الذي أرى فيه قانونا ايجابيا وخاصة لانه يضمن – حسب رأيي – المعالجة لكل مواطن في هذه البلاد بغض النظر عن انتمائه الطبقي، ولكن للأسف لم نتوقع ان يستغل هذا القانون الصراعات بين صناديق المرضى بهدف الربح المالي وعلى حساب كرامة الناس».

ويقول محمود سواعد من عرب السواعد: «أستغرب الحالة التي وصلنا اليها.. حتى العضوية في صناديق المرضى يسرقونها! كيف يتم ذلك؟ وأين القانون والمسؤولون؟».

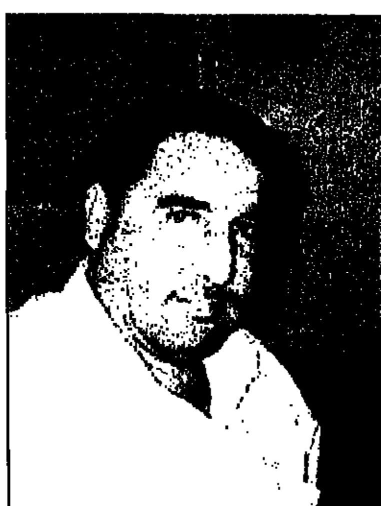
أما السيد ركاد الحاج الذي جرى معه نفس الشيء فطالب بوقف «هذا الاستهتار والتلاعب بالعضوية».

السيد عدعور تساحر، مدير صندوق المرضى «لئوميت» في منطقة الشمال، قال انه لم يعلم بهذا الأمر الا مؤخراً. وأضاف: «أنصح كل شخص تم نقل عضويته بدون موافقته بأن يتوجه – قبل نهاية الشهر القادم – لابطال العضوية الجديدة واستعادة الأولى. وانصحه أيضاً بتقديم شكوى للشرطة لكي تحقق في الموضوع».

وأضاف: «لا استبعد ان يقوم بعض الوكلاء من جميع صناديق المرضى بنقل اعضاء وتزييف تواقيعهم، فهدف هؤلاء الأول والاخير هو الربح المادي». ووجه تساحر نداء الى جميع صناديق المرضى لتوحيد جهودها في العمل لخدمة الاعضاء والمرضى والابتعاد عن مثل تلك الاساليب.

أما مدير التسويق في صندوق المرضى العام في منطقة حيفا والجليل الغربي، عوري ابسار، فقال: «لقد جرت تزييفات كثيرة كهذه.. وحتى في صندوق المرضى العام. فبعض الوكلاء الذين عملوا لصالح الصندوق فصلناهم من العمل بعد ان علمنا بافعالهم غير القانونية وابلغنا الشرطة».

وأضاف: «الى جانب الاعضاء والمرضى.. فان اكثر من يتضرر هو الدولة من ناحية مادية. فبدل صرف رسوم النقل لخدمة صحة المواطن يستفيد الوكيل من هذه الأموال». وقال: «اننا نعمل، من جهتنا، لوقف هذا الامر. وندعو الصناديق الاخرى لفعل ذلك أيضاً. لكن حتى الآن فما زالت مثل هذه الامور تحدث».



● ركاد الحاج

□□ مدير صندوق «لئوميت» في الشمال يقول «عمليات الغش يقوم بها بعض الوكلاء بهدف الربح المادي. وانصح الناس المتضررين بتقديم شكوى الى الشرطة». ومدير «الصندوق العام» في منطقة حيفا والجليل الغربي يقول: «لقد فصلنا بعض الوكلاء الذين فعلوا ذلك وابلغنا الشرطة. وننصح باقي الصناديق بعمل ذلك أيضا».



● عماد نميري



هل سيشهد الريف المصري حركة احتجاج في الفترة القادمة؟

الاصوليون يؤيدون خطوة الحكومة في اطار تصفية الحسابات مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

*** تطبيق القانون قد يجعل (٦) ملايين فلاح بدون ارض * البؤس والفساد من عوامل انتشار الاصولية في الصعيد * «اكثر من الف اكاديمي منهم اطباء ومهندسون تنافسوا على (٥٠) وظيفة عامل نظافة في بلدية اسيوط * الحكومة تخضع للازهر في محاكمة الابداع بمعايير تجاوزتها الحضارات البشرية منذ قرون * (١٥) مليون مصري محرومون من اكل اللحم ***

□ بقلم: صالح ابداح □

□ تثبت الوقائع والاحداث انه كلما حاول اي نظام في هذه الفترة، فترة «النظام العالمي الجديد»، التخلي عن الانجازات والمكتسبات التي حققتها شعوب تلك الانظمة في مطلع هذا القرن، وتحديدا بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، يزداد وضع هذه الشعوب بؤسا وفقرا وانحلالا. وهذا الامر لاحظناه في دول اوروبا الشرقية، الاشتراكية سابقا، وينطبق ذلك، ايضا، على دول العالم الثالث وخاصة على الدول التي كانت منضوية تحت لواء دول عدم الانحياز، اذ انها بدأت تخضع لاملاءات وشروط المؤسسات المالية الدولية، وخاصة فيما يتعلق بقضايا خصخصة القطاع العام والمس بحقوق العاملين والفلاحين واهمال مصير الازواج الشابة وحرمان الاكاديميين من فرص العمل.

كل هذه الشروط والاملاءات تعزز – لدى الفئات المسحوقة وغيرها من شرائح الشعب المهملة – النقمة ضد الانظمة الحاكمة، فتستغل الحركات المتطرفة والمعارضة للنظام، في الدول العربية الحركات الظلامية الاصولية، هذه النقمة لتجنيد تلك الفئات الى جانبها، وتنشط في عملية خطيرة تهدد النظام بشكل خاص، واستقرار البلاد بشكل عام.

وكل ما ذكر آنفا ينطبق على مصر التي اقرت حكومتها ما يسمى بـ «قانون العلاقة بين ملاك ومستأجري الاراضي الزراعية»، والمعروف باسم «قانون ٩٦ لعام ١٩٩٢».

ويؤدي هذا القانون الى زيادة استئجار الاراضي الزراعية بأكثر من ثلاثة اضعاف، اي من سبعة اضعاف قيمة الضريبة المفروضة على الاراضي الى ٢٢ ضعفا، لانه سيجعلها متعلقة بحركة العرض والطلب، كما يسمح للملاك بطرد الفلاحين من الارض بعد انتهاء العقد المحدد بخمس سنوات.

ويلغي هذا القانون الجديد، قانون الاصلاح الزراعي الذي تم اقراره اثر ثورة ١٩٥٢، وكان ينص على تأميم مساحات كبيرة من الاراضي من الاقطاعيين المصريين وتحديد قيمة الاجرة التي يدفعها الفلاح الى ملاك الاراضي المستأجرة، وحددت في حينه بسبعة اضعاف الضريبة على الارض.

وشهد الريف المصري منذ بداية العام الجاري حركة احتجاج واسعة قمعتها قوى الامن المصرية بالحديد والنار مما اسفر عن وقوع ١٣ قتيلا و٦١ جريحا في دلتا النيل والفيوم والصعيد. كما اعتقلت ٧٥٩ شخصا خلال المواجهات في تلك الفترة ولا يزال ١٧٥ شخصا منهم رهن الاعتقال. كما شهدت محافظة المنيا في بداية تموز الماضي اعنف المظاهرات الاحتجاجية على القانون الجديد، واسفرت عملية قمعها عن وقوع ثلاثة قتلى.

ويهدد الريف المصري بحركة احتجاج واسعة يخشى ان تتحول الى ثورة فلاحية مع اقتراب موعد تطبيق قانون ينهي عقود استئجار الاراضي الزراعية الى الفلاحين في بداية تشرين الاول المقبل.

وفي حال تم تطبيق القانون فانه سيؤثر على ستة ملايين شخص من الفلاحين وابنائهم، ويتسبب بضرر للزراعة التقليدية في مصر على المدى البعيد، اذا قرر المالك تأجير ارضه لزراعة محاصيل تدر دخلا اعلى، كما ان هذا القانون سيشمل اكثر من مليون فدان، وان ٣٣٪ من اراضي مصر الزراعية مستأجرة.

وفي حال تحرير استئجار الاراضي من الرقابة فان الكثير من الفلاحين سيعجزون عن الوفاء بالعقود الجديدة، وهذا قد يؤدي الى اندلاع مواجهات عنيفة تهدد الاستقرار الداخلي في مصر. اذ لخص فلاحو محافظة الجيزة موقفهم من القانون بالقول «والوضع لدينا مطابق للوضع في الاراضي الفلسطينية المحتلة: الارض مقابل السلام، اذا ارادت الحكومة السلام فيجب ان نحتفظ بالارض».

اما احد الملاكين فيحاول تهدئة الاوضاع بقوله «والقانون في منتهى العدل. انه يعطي كل طرف حقه. لن يطرد سوى الذين يرفضون زيادة الايجار، وانه يعتزم زيادة الايجار السنوي للفدان الواحد من (٦٢٠) جنيها الى (١٥٠٠) جنيه (١٨٣ دولارا الى ٤٤٠ دولارا)!

وبتوصية من الحكومة المصرية شكل المحافظون في جميع المناطق الريفية لجانا لتوفيق الاوضاع بين الملاك والمستأجرين في محاولة لتهدئة الاجواء لتطبيق القانون.

والامر المفاجئ: ان جماعة «الاخوان المسلمين» وهي العدو اللدود لثورة الضباط الاحرار وقائدها الرئيس الراحل، جمال عبد الناصر، ولكل الانجازات والمكاسب التي حققتها هذه الثورة لصالح الشعب المصري، اعلنت تأييدها لتطبيق القانون الزراعي الجديد.

وقال، في هذا الصدد، المتحدث باسم «جماعة الاخوان المسلمين»، مأمون الهضيبي، «ان القانون الجديد يتيح للملاك اخلاء الفلاحين من الاراضي، التي يستأجرونها منذ عقود. ويلغي قوانين الاصلاح الزراعي المنبثقة عن ثورة يوليو ١٩٥٢».

واكثر ما يثير الدهشة ان يعلن، ايضا، تنظيم «الجماعة الاسلامية» المسلح المحظور، الذي كان وراء محاولة اغتيال الرئيس المصري، حسني مبارك، في حزيران ١٩٩٥ في العاصمة الاثيوبية، اديس ابابا، تأييده للقانون!

ويدعي الهضيبي ان القانون الزراعي الجديد يتفق مع حكم الشرع، الذي يؤكد العقد شريعة المتعاقدين، محذرا من ان يؤدي اي تدخل لمنع تطبيق القانون الى رد فعل مضاد من جانب ملاكي الاراضي!

وكشف الهضيبي عن مدى حقده وعدائه للقوانين التي طبقتها الثورة الناصرية، والتي حددت سقفا لقيمة ايجارات الاراضي الزراعية، وحملها مسؤولية الاوضاع الراهنة، بقوله «ان العقود تكون بالتراضي ولا يستثنى من ذلك الا الحالات الضرورية» و«بدأنا في مصر في ظل الاشتراكية بفرض قيمة الاستئجار في حين ان ذلك لم يكن ضروريا! والنتيجة كانت الوضع غير المقبول الذي وصلنا اليه اليوم»!

□ «مثلث البؤس» واشقاؤه يستغيثون بالحكومة □

لا شك ان خطوة من هذا النوع من شأنها زيادة وضع الفلاحين بشكل خاص، وباقي السكان، بشكل عام، بؤسا يضاف الى البؤس الذي يعاني منه معظم السكان، وكذلك الفساد الذي يقضي على آمال تحسين ظروف الحياة، وهذان الامران يعتبران من عوامل انتشار التطرف الاصولي في صعيد مصر حيث تشمل البطالة ثلث القوى العاملة للسكان.

ومنذ ظهور النزعة الاصولية المتطرفة في مصر في السبعينات تركز العنف الاصولي المتطرف في «مثلث البؤس»، اي محافظات الفيوم وبني سويف واسيوط، المكتظة بالسكان والمتخلفة صناعيا. وتعتبر هذه المحافظات اكثر المحافظات المصرية فقرا حيث لا يزيد الدخل الشهري لعائلة معدل عددها سبعة اشخاص عن (٤٥) جنيها مصريا (١٣ دولارا) وهذا الدخل لا يكفي لسد الحد الادنى من احتياجاتها المعيشية.

ويجمع الاهالي على ان المسؤولين لا يفكرون سوى بملء جيوبهم ويتركون الشعب مطحونا في الفقر، «ولا نزال نجري على طوابير الخبز والصابون... نريد ان تأتي زوجة مبارك لترانا كيف ننتظر في الطوابير للحصول على ازجل وامعاء الفراخ ورؤوس السمك، لاننا لا نجد شيئا نأكله».

الجميع يبحث عن عمل اضافي ليواجه اعباء المعيشة. وفي هذا السياق، كانت بلدية اسيوط اعلنت عن حاجتها لخمسين كناسا براتب شهري (١٢٠) جنيها (حوالي ٣٧ دولارا) فتقدم الى هذه الوظيفة اكثر من الف خريج جامعي منهم الاطباء والمهندسون.

ولا يخفي المسؤولون واقع انتشار الفساد في الجهاز الحكومي، اذ اعترف مسؤول في «الحزب الوطني الديمقراطي» الحاكم «بأن الفساد انتشر في كل الاجهزة بالضبط كما ينتشر فيروس «الايدز» داخل الجسم، وان الموظفين يفعلون كل شيء من اجلك من قبيل المحسوبية على اساس الله قريب من النظام».

هذه الظروف والاوضاع التي يعيشها المواطن المصري، بشكل عام، والصعيدي الفلاح، بشكل خاص، تجعل مناطق الصعيد تربة خصبة لظاهرة التطرف الاصولي. واصبحت محافظات الصعيد من المعاقل الاساسية للاصوليين وبات من الصعب على الاجهزة الامنية للسلطة ان تسيطر على الوضع او تتمكن من لجم وقطع دابر العمليات التي ينفذها الاصوليون ضد العلمانيين، من جهة؛ وضد قوى الامن نفسها، من جهة اخرى رغم حملات الاعتقالات التي تشنها بين المواطنين وفرض انظمة الطوارئ وحظر التجول.

ودرست الحكومة المصرية امكانية تشريع قانون يتم بموجبه خفض سن الرشد من (١٨) عاما الى (١٥) عاما كون غالبية الاصوليين منفذي الاعتداءات صغار السن، وذلك لكي تتمكن من ملاحقتهم قضائيا. وكانت

(البقية على ص ٢٢)

* جمال عبد الناصر *

* القانون الجديد سيزيد غنى ملاك الأراضي *

● محمود ابو شنب ●

.. حذار.. الخطر داهم!



□ الوزيرة الامريكية مادلين اولبرايت، كانت اعلنت بعد ايام من تعيينها وزيرة للخارجية، انها لن تأتي الى الشرق الاوسط، الا اذا نضجت الظروف للتوصل الى حل ما. وجس مبعوثها، روس، النبض، ثم عاد بخفي حنين، وبقيت الوزيرة عند موقفها، هذا الموقف الذي يدعو الى التساؤل حقا. ذلك انه لو كانت الظروف قد نضجت للتوصل الى حل ما – وهو الشرط الذي تضعه لزيارة المنطقة – لما بقيت هناك ثمة حاجة لمجيئها.

ومع ذلك، اعلنت اولبرايت انها قادمة.. فما عدا مما بدا وجعلها تتراجع عن موقفها السابق؟ انه ازدياد التوتر في المنطقة وازدياد تكرار كلمات عنف، انتفاضة، حرب، ومن ثم عُلقت آمال كبيرة على زيارة وزيرة الخارجية الامريكية، ولكنها عادت راجعة الى بلادها غاضبة، وصرحت لدى مغادرتها، انها لن تعود لتطحن الماء، بل ستعود فقط عندما يحدث ما من شأنه ان يشكل اساسا يمكن ان تبنى عليه استمرارية لعملية السلام.

الذين علقوا آمالا كبيرة على زيارة اولبرايت، اصيبوا بخيبة امل واحباط بحجم الآمال التي علقوها على الزيارة، لانها لم تحقق شيئا، وانهيار الآمال والاحباط، زاد من حدة التوتر، بحيث ان الوضع في المنطقة اصبح اشد خطرا بعد زيارة اولبرايت منه قبلها.

وتنفس نتنياهو الصعداء.. فذلك الذي تشترطه اولبرايت للعودة الى المنطقة، لن يدعه يحدث، وهو القادر على الاستفزاز الواحد تلو الآخر. وما ان ادارت ظهرها وغادرت المنطقة، حتى قام نتنياهو ودفع مستوطنين فاشيين الى راس العمود.

قلنا في مقال سابق، اننا لن نستبعد ان يخلق نتنياهو موقد توتر جديد بعد جبل ابو غنيم لصرف الانظار عن ابو غنيم الى موقد التوتر الجديد، فكان راس العمود، وهنا ايضا، ليس من المستغرب ان يوجد موقد توتر ثالث لصرف الانظار عن راس العمود، فالعمل في جبل ابو غنيم متواصل تهيئة للاستيطان، واخترع ما سماه «بحل وسط» في راس العمود، يقضي بابقاء المستوطنين هناك، وهذه المرة بقرار حكومي يؤكد حق الاستيطان قانونيا (اسرائيليا).

وبين هذا وذاك، وخلال هذا وذاك لم يتوقف نتنياهو ثانية واحدة عن تكرار كلمة «ارهاب»، ودائما يرفقها مع السلطة الفلسطينية، التي «لا تعمل»، «لا تحرك ساكنا»، «ولا تقمع»، «ولا تعتقل»، «ولا تقضي على البنية التحتية للارهاب»، ويقوم بتسليم السلطة الفلسطينية قائمة طويلة جدا بأسماء «الارهابيين» طالبا منها اعتقالهم فورا، والا.. فلن يستطيع العودة لاستئناف المفاوضات.

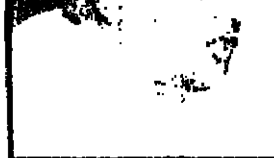
علكة «الارهاب» هذه التي يلوكها نتنياهو ورددتها اولبرايت، ليس في لقائها مع السلطة الفلسطينية وحسب، بل ايضا في لقاءاتها مع الحكام العرب – ليست غير ذريعة لاخفاء ممارسات نتنياهو الفعلية لتخريب اتفاق اوسلو ونسفه من الاساس. ولا نعتقد بأن الرئيس كلينتون من السذاجة بحيث لم يدرك هذا، وربما ان نتنياهو ما كان ليقدم على مثل هذا التخريب، لو لم تكن يد الادارة الامريكية داعمة له. واما لماذا هذا التغاضي الامريكي، فذلك يعود لحسابات انتخابية امريكية، ولكسب اصوات يهود امريكا. ولكن السكوت عن نتنياهو وممارساته لا يعني سوى دعم وتأييد له في سعيه للقضاء على اتفاق اوسلو.

يتشدق نتنياهو وقادة اسرائيل جميعا بأن اسرائيل هي الدولة الدمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط اذن فكيف تطلب هذه

(البقية على ص ١٦)

■ د. احمد سعد ■

في ذكرى صبرا وشاتيلا!



لما قبل يومين صادفت الذكرى السنوية الـ ١٥ لمجزرة صبرا وشاتيلا التي ارتكبتها عصابات الكتائب الفاشية تحت مظلة قوات الاحتلال الاسرائيلية ودعمها المباشر لحصد ارواح المئات من الشيوخ والنساء والاطفال والرجال في المخيمين الفلسطينيين، العزل من السلاح. نحيي هذه الذكرى ليس فقط حتى لا ننسى فظائع المذبحة التي يتحمل مسؤوليتها الاولى، الاحتلال الاسرائيلي، بل كذلك لاستخلاص العبر، خاصة وان نزيف الدم لم ينقطع بعد لا على الاراضي اللبنانية ولا على الاراضي الفلسطينية، وان المجرم ذاته يواصل نفس السياسة التي تهدد بارتكاب جرائم ومذابح اشد ايلاما ومأساة من مذابح صبرا وشاتيلا.

فللتغطية على العدوان والجرائم، لجأت حكومة بيغن – شارون في حينه الى الذريعة التاريخية التي تلجأ اليها حكومات اسرائيل، حتى يومنا هذا، «والمحافظة على امن اسرائيل»، تارة على منطقة الشمال، واخرى على المركز او على شرق البلاد. ولكن سريعا ما انفضحت اباطيل هذه الذريعة، كما تتعرى من ملابسها في هذه الايام.

فهدف حرب ١٩٨٢ العدوانية على لبنان والفلسطينيين لم تكن ابدا توفير الامن والاستقرار لمستوطنات الشمال الاسرائيلي «والسلام للجليل» كما اطلقت على الحرب، بل تمحور حول انجاز هدفين مركزيين: حسم الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني نهائيا بواسطة البلطجة العسكرية – السياسية والوجود الفلسطيني في لبنان، وفي نفس الوقت استثمار نتائج هذا الحسم لتغيير موازنة الصراع داخل لبنان واقامة نظام عميل في بيروت يوقع «اتفاقية سلام» تستغلها اسرائيل ورقة مسمرة لضمان استسلام سوريا وغيرها من البلدان العربية لاملاءات سلام اسرائيلية، مدعومة امريكيا، على جثة الحق الفلسطيني المشروع. وكانت مجزرة صبرا وشاتيلا احدى وسائل تنفيذ هذا المخطط. ولكن الغزاة الاسرائيليين ومخططهم التصفوي قد حصدا، رغم الثمن الباهظ، الفشل الذريع. فالصمود الاسطوري للفلسطينيين والقوى الوطنية اللبنانية في بيروت وقلعة الشقيف وعلى مختلف جبهات المقاومة للغزاة وعملائهم، قد اكدت للغزاة وللعالم انه لا يمكن ابدا القضاء على حقوق شرعية لشعب من الشعوب بواسطة الحسم العسكري والعربدة العدوانية. كما اكدت للعالم الدوافع والاهداف الحقيقية للعدوان الاسرائيلي، فالحرب لم تتوقف عند حدود المنطقة التي كانت تدعي اسرائيل بأنها تؤلف خطرا على امن الشمال الاسرائيلي، وحيث كانت تتواجد القوة الرئيسية للمقاومة الفلسطينية – في الجنوب اللبناني، بل امتدت اذرعها الاخطبوطية حتى وصلت الى بيروت، وقام الاحتلال بتنصيب عملائه من قادة الكتائب كراكوزات على سدة الحكم في بيروت. وسريعا ما اسقط الشعب اللبناني دحر الاحتلال والاتفاقية التي وقعوها مع اسرائيل. وتحولت الارض اللبنانية الى نار تحرق الوجود العدواني للغزاة، واضطرت اسرائيل الى الخروج، تجر ذيول الهزيمة من الاراضي اللبنانية، ولكنها مركزت وجودها وبقاءها في الجنوب اللبناني تساندها قوات مرتزقة من العملاء تتنفس من رئات الاحتلال الاسرائيلي، واليوم بعد ١٥ سنة من الاحتلال المجازر، وبالرغم من اضعاف الوجود العسكري الفلسطيني في الجنوب اللبناني – الذريعة للعدوان – فان الاحتلال الاسرائيلي لا يزال جاثما على صدر الجنوب. مما يؤكد ان

(البقية على ص ١٦)

■ سهيل قبلان ■

تربية التمييز العنصري!



□ رغم انا نقف على عتبة القرن الـ (٢١)، الا اننا ابتلينا بحكومة تثبت بممارساتها، انها من مخلفات العصور الظلامية، فالعنصرية تتفشى بشكل مقيت، وتكاد تطل من كل مؤسسة رسمية حكومية، او من براهين وشواهد اخرى، من كيفية التعامل مع اللغة العربية وكتابتها على اللافتات في الشوارع والاماكن العامة الاخرى، بشكل مثير للاشمئزاز، الى اطلاق الرصاص على العربي بدم بارد!! بشتى الحجج الواهية.

وفي ظل الاجواء السياسية الساخنة، بتصاعد التحريض على العرب ويأخذ التوجه التمييزي على خلفية عنصرية، شرعية رسمية وشعبية، منها على سبيل المثال لا الحصر، القتل بدم بارد، ويوم الاثنين الاخير، قتل يهودي في بنك همزراحي في هرتسليا، الشاب العربي عبد الفتاح جبارة من الطيبة، بادعاء انه حاول سرقة موظفة البنك!! وقال القاتل، انه رأى العربي يحمل ملفا وهجم على الموظفة لسرقتها، فأشهر القاتل مسدسه واطلق الرصاص مباشرة على رأس العربي عن بعد متر واحد فقط وارداه قتيلا!! اعتقلته الشرطة وقال لها انه ظنه مخربا!! فأطلق الرصاص عليه! وبعد تحقيق قصير اطلق سراحه بدون كفالة!! وسوغت الشرطة ذلك بأنه تصرف وفق القانون!! والسؤال الذي يطرح نفسه، الم يكن بالامكان اطلاق الرصاص على ساقيه؟! لماذا على الرأس مباشرة؟! والانكى من ذلك، قررت الشرطة منح القاتل شهادة تقدير!!

وقبل حوالي شهرين وبموافقة وزارة العدل، اطلق سراح المستوطن ناحوم كورمان، الذي قتل الطفل حلمي شوشة بشكل سادي، واطلق سراحه تفهما لاوضاعه الشخصية!! وبدلا من ان يقبع في السجن، افرج عنه!! الا يعتبر ذلك بمثابة ضوء اخضر للعنصريين والمستوطنين، لارتكاب المزيد من الجرائم ضد العرب؟

ان سهولة اطلاق التصريحات المعادية للعرب، تتمخض عنها سهولة الضغط على الزناد، واباحة الضغط على الزناد، تجر ممارسات وسلوكيات استعلائية، او تضخيم امور هامشية لشن حملات تحريض ارعن قبل التأكد من الحدث. وفي الاسبوع الفائت، وقبل ان تطأ مادلين اولبرايت أرض المطار، اختفت آثار يعقوب شفارتس، وبدأت وسائل الاعلام تبث النبأ في رأس نشرات الاخبار، مع التحليلات والتأكيدات انه اختطف على خلفية قومية وان بقع الدم في سيارته ومن المؤكد انه اختطف الى غزة!! وطغت اخباره على اخبار زيارة مادلين اولبرايت!! وذلك في محاولة للتأكيد لها، ان المطلوب هو «مكافحة الارهاب»، وحفظ الامن والمسؤولية تقع على عاتق عرفات!! وما ان غادرت اولبرايت البلاد، حتى ظهر شفارتس حيا يرزق ولم تنزل منه قطرة دم واحدة!!

وفي اليوم الذي وجد فيه شفارتس وقال انه اختطف، ليتضح فيما بعد، وبتأكيد من الشرطة ان كل القضية ملفقة اختفت آثار الشيخ كنج سربوخ (٨٤ عاما) من بيت جن، فكيف تعاملوا مع القضية؟ خاصة وسائل الاعلام؟ بالطبع نحن لا نريد ان يروجوا كما روجوا في قضية شفارتس، لكن لو كان المفقود يهوديا، هل تعاملوا بلا مبالاة كما مع الشيخ كنج؟ لقد اكتفت وسائل الاعلام ببث خبر ولمرة واحدة، مفاده ان الشرطة تطلب مساعدة الجمهور في العثور على الشيخ كنج واوصافه كذا وكذا!! فلماذا لم يجر التعامل مع شفارتس، بأن الشرطة تطلب مساعدة الجمهور؟!

ان اختفاء اي انسان هو مأساة، خاصة ما يسببه ذلك من معاناة وقلق وآلام للزوجة والاولاد. ولماذا يجري التعامل مع اختفاء الانسان بمكيالين؟ لماذا يكون حسب انتمائه ولغته وقريته؟ وهل ذلك صدفة؟ لماذا تقوم الدولة ولا تقعد عندما يختفي اي يهودي، بينما لا تبالي عندما يختفي اي عربي وكأنه صوص دجاج؟

نعتقد ان الممارسة السياسية الرسمية، التي تعتبر امتدادا! والزاما سيئا ولئنا، لتربية عنصرية تبدأ من البيت وتتجذر في المدرسة، وتتواصل في الشارع والاعلام والجيش والشرطة، تفتقد الحس الانساني في مواقف كثيرة، وبالتالي تتعامل مع العربي وقضاياه كأنه لا يستحق الحياة كانسان، والانكى من ذلك، ان تلك التربية ترسخت قناعات عند الاغلبية اليهودية، بأن العربي ناقص ولا يؤتمن، لذلك يصبح القاء حجر صغير على سيارة مستوطن جريمة لا تغتفر ويحتل ذلك بداية نشرة الاخبار، اما حرق مقبرة اسلامية في «نيشر»، فأمر ثانوي!! وكتابة شعار ما في بلدة عربية، يجري التعامل معه بصرامة وتكتب التحليلات وتعقد الندوات لبحث التطرف القومي عند العرب، اما ابادة مزروعات للفلسطينيين واقتلاع الاشجار، بحجة ان فتية قذفوا حجارة على مستوطنين، فمشروع ومحلل ومباح؟! اذا تكلم العربي باللغة العربية، يصبح ذلك ازعاجا لليهودي فيعتدي عليه حتى لو كان بالبزة العسكرية. ويمنع العربي ورغم البزة العسكرية من دخول المقاهي والنوادي الليلية وبرك السباحة! البناء بدون رخصة جريمة الجرائم، اما سرقة وطن وطرد شعب واحتلال ارضه، فمحلل وشرعي!؟

ان اختفاء الشيخ كنج سربوخ الغريب وعدم العثور عليه وكيفية التعامل مع القضية، بمثابة نقطة من بحر التعامل السلطوي مع الاقلية القومية الفلسطينية في اسرائيل، وهل الذي يتغذى بالعنصرية وتغسل دماغه (٢٤) ساعة في اليوم، ويعطي الاوامر لتهشيم العظام وهدم البيوت والتحامها دون مراعاة لحرمتها، سيتأثر لاختفاء عربي؟ هل يهمه ان ينقص عدد العرب واحدا؟ ان التربية على الكراهية والاحقاد والبغضاء، هي بمثابة بومرانغ ترتد الى نحر صاحبها، لا تشوهه نفسيا وتسلبه انسانيته وتشوش تفكيره لان صورة الضحية ستبقى ماثلة في مخيلته وحسب، انما ستنعكس على سلوكه مع اهل بيته ومجتمعه، وهل صدفة ان هناك مئات الوف النساء المضروبات؟ وهل صدفة ارتفاع نسبة الجريمة والسرقات والاغتصاب؟ اليس ذلك بسبب التربية العنصرية اللاانسانية؟

* محمد علي طه *

وداعا ايها الشيوعي الطيب!

☐ مات علي عاشور!

مات رجل آخر من جيل «البولدوزرات» الذي كتب «ملحمة البقاء» وخلق اسطورة «الكف الذي يلاطم المخرز»!

مات الرجل الطيب الذي أحببناه!!

وكعادته في حياته، مات بهدوء، بعيدا عن ضجة موت الكبار. ولو استطاع لأخفى موته كما أخفى آلاما وأحزانا وأوجاعا في تلك التفاحة الكبيرة طيلة نصف قرن من هذا الزمن «المتأمرك» و«المتصهين» العاهر. زمن الكذبة ورافعي السيرك ولاعبي «الثلاث ورقات»! هذا الزمن الذي حاول علي عاشور ورفاقه ان «يطعجوا» رقبته وما زالوا يحاولون بدون كلل او ملل!

مات الساخر الهادئ الذي لم يسلم من قصائده «السرية» قائد او رفيق او صديق. تلك المقطوعات اللطيفة كالنسيم، الجارحة كحد السيف، خفيفة الدم مثل روح «أبي الهول دم دم».. والتي تستصرخ اصدقاءه ورفاقه ان يجمعوها ويحفظوها لتكشف للأجيال عن شاعر آثر الغمور وابتعد عن الاضواء. شاعر له مكانته في موسوعة ابي الفرج الاصفهاني ولم يجد نسيلة في كتب هذه الأيام التي تغمرنا بكتب بلا أدب وكتابة بلا فن!

مات الصحفي الذي رسّخ نهجا وتعابير عاشورية في صحافتنا.

لا يذكر سياسي او صحافي انور السادات الا وتذكرت علي عاشور ومقالاته الاسبوعية التي رافقت السادات منذ «عزيزي هنري» حتى مصرعه.

في صبيحة الجمعة من كل اسبوع، نفتح «الصفحة الثالثة» ونقرأ المقال العاشوري ونضحك من «الأصبع الثالثة» التي رآها على ممدودة من «عزيزه هنري» ومن الرئيس الأمريكي ومن السيدة المتحجرة في تل ابيب ومن مناحم بيغن وديان.

ولا زلت اذكر الفكاهة التي تناقلناها عند هبوط طائرة السادات في مطار اللد ومصافحته رئيس المراسم الاسرائيلية.

سألني صديقي فتحي فوراني: هل شاهدت السادات وهو «يهبط» في اللد؟

أجبت: وسمعته يسأل رئيس المراسم «وين الود علي عاشور؟». فقال له: ابحث عن «الأصبع الثالثة»!

اختار ابو ابراهيم علي عاشور الغزي، الحيفاوي، البراقي، الشيوعي، الفلسطيني، الاممي ان يمد «الأصبع الثالثة» للفقر والمال والجاه والشهرة والزيف والكذب والنفاق والموت.

اختار الطريق الأصعب منذ مطلع شبابه وقرر مثل السمك الحي ان يسبح ضد التيار وكلفه هذا ان يدخل السجن مرات، وان يعيش الغربة طويلا، وان يذوق الظلم والاضطهاد كثيرا، وأن يصاحب الفقر بدون ان يقتله!

لا يشكو ولا يتذمر.

وفي عينيه كلام كثير.

وفي قلبه أكداس من الآلام..

ولا يأبه..

يسير ويسير.. بهدوء!!

يعمل ويعمل ويعمل.. بأناة!!

«أنا لا اقاتل من أجل عمر»!!

واذا طفح الكيل ارسلها اشراقة مدوية او بيت شعر يذكرك بدعبل الخزاعي.

أذكر، في العام ١٩٨٣ حينما صدرت «الاتحاد» جريدة يومية اختار الحزب علي عاشور مديرا لادارتها.

كنا نعمل ليل نهار.

وكان الأجر المادي قليلا قليلا.

وحينما عرض رئيس التحرير المرحوم اميل حبيبي على زميله ورفيقي ادوار الياس ان يسافر الى الخارج في مهمة صحفية رفض... لأن حذاء «قديم ولا يملك ثمن حذاء جديد».

وعندما احتفلت «الاتحاد» اليومية بعيد ميلادها الأول كتبت وادوار قصيدة حلمنتيشية لم ننس احدا من هيئة تحريرها وادارتها. وكتبنا يومئذ عن علي عاشور:

عن الذكا والشطارة
اسألوا علي ابو الادارة
وان تخبتوا وقت الغارة
كبّر عظم بالافلاس

وعندما قرأ القصيدة ضحك كثيرا.. ولما وصل الى هذا المقطع نظر الينا وقال: «يا أولادي وهل يملك علي عاشور شيئا؟».

وضحكنا معا وقلنا له: ضمها الى قصائد ابي الهول دم دم!

ومات علي عاشور.

تألمت وحزنت.

تألمت لأني لم أر الرجل منذ مدة طويلة ولم أسأل عنه.

لماذا؟

يلعن ابو هيك زمن!

وحزنت لأن انسانا كبيرا، قلبا واسعا، مناضلا عنيدا مدّ للموت اصبعه الثالثة، ولكن الموت تغلب عليه!

عليّ،

وداعا ايها الشيوعي الطيب.

* المحامي علي رافع *

طبتَ حيّاً بيننا وطبتَ حيّاً في قلوبنا

☐ لستُ محمداً ولا أنت ابو ذر الغفاري! ولكن اسمح لي ان اصفك بما وصف به محمد (ص) ذلك الصحابي الزاهد الجليل «تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث يوم القيامة وحدك».

هذه سيرة حياتك باختصار.

عشت وعملت وناضلت وكافحت من أجل شعبك، ليعود الى وطنه ويعيش فوق ترابه مثل كل شعوب الدنيا.

كنت ليّن العريكة طلق المحيّا، متفائلا ترى الضوء في نهاية النفق المظلم، ولا بد لليل ان ينجلي، لا بد لشعبنا الذي قدم التضحيات رخيصة في سبيل العيش السعيد، مهما تكاتفت قوى الشر والبغي. ستقوم الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس شاء من شاء وأبى من أبى لأن هذه ارادة شعب لا يعرف اليأس، ولا الخنوع والاستسلام، ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد في النهاية للقيد ان ينكسر.

عرفتك منذ عرفت القراءة والكتابة، يوم كنت تكتب في «الاتحاد» انت وطيب الذكر اميل حبيبي، تعلمنا على العزة القومية والكرامة ونصب الهامات حتى تطال عنان السماء، ولن يضيع حق وراءه مطالب.

عرفت: فيما بعد عن قرب وانت تسكن في شارع الطغرائي، ويوم فرجت وجئتني لأكتب اتفاقية شراء دار المؤرخ جبرا نقولا جاري في شارع عباس، وقلت لم يضيّعني الله فهذا صديق يحل مكان ذلك الصديق، وهكذا كان.

عرفتك يوم جاء اليّ في مكتب طيب الذكر محامي الأرض والشعب حنا نقارة، ذلك الشاويش الذي كان يعمل في المهمات الخاصة في حيفا، فيكتور أبوصاب، كانت الساعة الثانية بعد ظهر الخامس من حزيران، وانا أقف في المكتب ومعي لولو وهيام أسعد، جاء الشاويش يسألني، من هو علي رافع فأجبته: انا هو!

فقال تعال معي، ولم أكن اعرف حتى ساعتها ماذا جرى، اصطحبني الجندي، رغما عني الى مركز الشرطة، ودخلت عليك وانت واقف امام ضابط المهمات الخاصة رودمان الذي أنهى حديثه معك، وتوجه الي وكنت اضع يدي على خاصرتي، فقال نزل يديك انت معتقل لمدة ٤٨ ساعة وبعدها سوف نرى ما سيكون، وخرجنا من الغرفة واذا بزاهي كركبي وسميح القاسم وسالم جبران في الممر ينتظرون، اصطحبنا الشاويش متسا والعوفري في كتفه وشرطي آخر من خلفنا الى خارج المبنى وما أن وصلنا الى مكتب التحقيق المجاور واذا بصوت طائرات، اعتقد انها كانت غارة سورية على حيفا، فاقتادونا بسرعة الى «بيت الدرج» وأقفلوا باب الحديد علينا ريثما تنتهي «الغارة».

ومن مركز الشرطة الى سجن الدامون، حيث امرونا بسحب القشط وسيور الحذاء لئلا ننتحر بهما؟! ولا تدعوا شيئا في جيوبكم، كان معي علبة سجائر «اسكوت»، فيها سيجارتان أراد الشرطي ان يضعهما في الأمانات، فدسست واحدة في فمك والثانية في فمي.

اذكرك تبعث الأمل في قلوبنا حتى عندما كان المذياع يعلن، القدس بأيدينا، «جبل البيت»، الأقصى وما حوله بأيدينا غزه بأيدينا، وهضبة الجولان بأيدينا، وجاءنا مدير السجن ليعلن مبتهجا انه أنهى مكالمة لتوه مع نابلس! نعم مع نابلس! وما فارقت الابتسامة شفتيك ولا دبّ اليأس في نفسك لحظة واحدة فبعد اجتماع اللجنة المركزية بينك وبين زاهي كركبي وتحليل الوضع السياسي والعسكري تأتي الى التخت ذي الطابقين لتشرح وتحلل وتقول لا تيأسوا لن يدوم ظلم.

عرفتك جارا لا نكاد نسمع لك صوتا، لا صراخ ولا صخب ولا ضجيج، كنت نعم الجار الذي يتمثل قول عنترة العبسي: «وأرد طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها» وكان لا بد لنا نحن اللذين نعمل في المكاتب من ممارسة الرياضة لا سيما ونحن في مدينة ساحلية، ومن الرابعة والنصف صباحا ننزل من عباس الى الشاطئ الهادئ «أبو نصور» لنجد ان توفيق طوبي قد سبقنا ووصل الطفاف سباحة، كان يأخذ السباحة بجدية وصليبا خميس وآرنا بغومان، وحنا ابو حنا يملأ البحر بنكاته وضحكته المدوية، وابو طوني لا يبتعد عن الشاطئ سوى أمتار معدودة، اما اميل توما فلا يسبح الا في البانيو على الشاطئ مع انه يجيد السباحة نظريا ويعلم فوائدها لكنه لا يجرؤ على خوض العباب، وكنت تسبح تحت الماء وفوق الماء، بعد ان نمارس رياضة المشي على الرمل والتمارين الصباحية، كل يوم ويا ويله من استحوذ على مسمارينا اللذين كنا نعلق عليهما الكيس الذي يحوي الملابس، حتى المسمار لاحقونا عليه وكنت تريد ان نسجله باسمنا في الطابو، وحمام شمسي بعد ذلك لنكسب البرود الشمسي الذي يسبقنا للاستمتاع به جميل الديك ولكننا لم نكن نجاري فهد عبود في رياضته العنيفة القاسية وكان يحتج

(البقية على ص ١٦)

● سميح القاسم ●

كان علي عاشور سيقول مثل هذا الكلام:

[illegible]

● لا أعرف شيئا عن خلفية علي عاشور الشخصية وطفولته.. اعرف انه كان شيوعيا في عام النكبة وان وعيه الأممي في المسألة الفلسطينية أوصله الى قناعة تقول بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية. هذه القناعة ساقته الى السجن العربي. أما أمميته البريئة والبالغة حد السذاجة فقد ساقته الى اسرائيل، ولماذا «السذاجة»؟ لانه تصور، مع آخرين سواه، ان اسرائيل بيهودها القادمين من شرق اوروبا قد تتحول الى دولة اشتراكية علمية ماركسية – لينينية تذوب فيها الطبقات وتلتغي الحواجز القومية والدينية والثقافية.

على أية حال، فقد ظل علي عاشور نقيضا لسوء النية والدهاء، ولم يتقن لعبة موازين القوى، لا في الحياة العامة ولا في الحياة الحزبية.. ومن هنا أخذت تتراكم في أعماقه مشاعر الخيبة وأحاسيس الاغتراب، حتى تحول الى جسد ضخم يندر أن تصدر عنه نأمة، كأنما هو راغب في الاختفاء عن الأنظار، وتحول جسمه العامر الممتلئ المكتنز الى نقيض لصوته الخافت الهامس المتهدج المتجول.

في اوساط الستينات التقينا في دار «الاتحاد»، ولم تكن هناك حاجة لوقت طويل حتى نتحول من الزمالة الى الصداقة.. وتعمقت اواصر الصداقة بما اكتشفته في الرجل من طيبة القلب وصدق المشاعر وخفة الظل وقوة الملاحظة.

في الساعات الاولى من صباح الخامس من حزيران ١٩٦٧، وبينما كانت الطائرات الاسرائيلية تكرر غاراتها الجوية على المطارات والمواقع العسكرية العربية. أغارت وحدة من الشرطة الاسرائيلية الخاصة على مكاتب «الاتحاد» في دار الأرمن (التي هدمت في وقت لاحق)، داخل بستان الشيوعية على سفح وادي النسناس الحيفاوي.. كان علي عاشور واقفا بمحاذاة النافذة حين ناداه الضابط باسمه: «يا علي عاشور، قل لسميح القاسم ان يخرج الينا»!.. وردّ علي بهدوء: «سميح القاسم ليس هنا».. وأصرّ الضابط: «بل هو في الداخل، رأيناه وهو يدخل الى المكتب، وان لم يخرج الينا وأنت ايضا معه، فسنقتحم الجريدة بالقوة».. ولتجنيب «الاتحاد» خطر التخريب والاغلاق فقد خرجنا معا، ليضعوا «الكلبشة» على يدي من جهة وعلى يد علي عاشور من الجهة الأخرى، وليطلق علي عاشور تعليقاته الهامسة الساخرة على الفور، من طراز: «نحن يا رفيق سميح لسنا على طرفي نقيض لكننا على طرفي كلبشة».. ولأرد عليه بأسلوبه: «صحيح.. وبحياة أبوك خلّي خط التلفون مفتوحا بيننا لنتسلى بالكلام.. هالوا هل تسمع؟» ويفقد الشاويش زكّاي اعصابه فيأمرنا بالكف عن الكلام وينهال علينا بالشتائم بينما يدفعنا أحد جنوده بالسلاح ويسوقنا أمامه في شوارع حيفا القريبة، كأنما هو في مسيرة نصر قيصرية رومانية.. وحين التقينا فيما بعد، بعدد من الرفاق والاصدقاء، في سجن الدامون كثّف علي عاشور من قفشاته اللمّاحة، وكان لحضوره الانساني العميق والجميل أثر خاص في قراري بالانضمام، هناك، الى صفوف الحزب.

وفي اطار عملنا الاعلامي والسياسي المشترك اتيح لي ان اتعرف الى جانب آخر من شخصية علي عاشور، الجانب الشعري، وراح يطلعني من حين الى آخر على بعض قفشاته الشعرية الساخرة.. منها مثلا ما كتبه في حفل اقيم على شرف مجلة «الجديد» وكان المرحوم صليبا خميس رئيس تحريرها آنذاك، لكن لم يحضر الحفل لأسباب خاصة. ومما قاله علي عاشور في المناسبة:

ان الجديد مجلةٌ شهريةٌ.. فيها أدبْ
ورئيسها الغالي صليبا يوم حفلتها هَرَبْ

ثم يعرّض بمقالات المرحوم الدكتور اميل توما لطولها فيقول:

ومقالةٌ من عشر صفحات يريدُ، اذا اقتضبْ!

ويقفل قصيدته بالضربة القاضية:

حُييتَ يا بيتَ «الجديد» ودمتَ يا «بيت الأدب»!

وهاله ان انطلاق «شعر المقاومة» في الوطن العربي دفع كثيرين الى تدبيج «شعر مقاومة» للتصدير.. وان هؤلاء أوغلوا أيّما ايغال في صور «الهول» وتعابير «الدم».. فأطلق على نفسه اسم «ابو الهول دم دم» وراح يكتب القصائد الساخرة اللاذعة التي تأكل الأخضر قبل اليابس، والتي سببت له خلافات حقيقية مع بعض الشعراء، من موتى ومن احياء... ولعلّ «أجمل» قصائده الساخرة تلك التي جمع فيها عناوين عدد كبير من المجموعات الشعرية لمختلف الشعراء.. واذا اسعفت الذاكرة فقد جاء فيها:

أناديكم
«أشدّ على أياديكم»
«صواريخي» التي انطلقت «مع الفجر»
ستأتيكم
وبين «مواكب الشمس»
الاقيكُم
«عصافيري التي من دون أجنحة»
سأذبحها وأمعطها وأشويها
وأطعمكم وأسقيكم
أناديكم.

. وهلمجرا..

في هذه القصيدة الساخرة أصاب عدة «عصافير» بحجر واحد.. «وأشدّ على أيديكم» ديوان لتوفيق زياد، «صواريخ» و«مع الفجر» لراشد حسين، «مواكب الشمس» للفقير اليه تعالى، «عصافير بلا أجنحة» لمحمود درويش.. وفي القصيدة «ضحايا» أخرى، فلم يبقِ علي عاشور ولم يذر.

ولم يقتصد ابو ابراهيم، «أبو الهول دم دم»، في سخريته اللاذعة الموجهة الى السلطة الغاشمة، وما زلنا نذكر قصيدته التي يكرر فيها لازمة:

باسم الأمن فقدنا الأمنَ وصار الأمنُ عدوّ الأمنْ

علي عاشور، شكّل حالة انسانية لكرية قائمة بذاتها.. وكأنما رأى بعين خياله منذ السبعينات ما يحدث الآن.. ولا ننسى سخريته القاتلة بحفر خندق مائي حول قطاع غزة واعلانه «دولة مستقلة» يكون شعارها «قرن فلفل وغصن ملوخية»...

علي عاشور، ظلّ الى يومه الأخير غير مصدّق و«غير مقتنع» بانهيار الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية.. وفي أحد لقاءاتي الأخيرة به بدا لي كأنما دخل الرجل مرحلة من «الغيبوبة» و«الانقطاع» عن واقع لا يريده ويرفضه بشدة.. بدا لي ما يشبهني أحيانا من عدم التصديق والتعلق بحبال الهواء، والتشبث بحلم انهار على رؤوسنا دون ان يصاب بخدش او صدع او اختلال..

علي عاشور، لم يكن حرا في اختيار حياته مكانا وزمانا وصورة ومضمونا.. لكنه اختار كما يبدو ان يموت «على دينه» وعلى حلمه وعلى عقيدته وعلى «براغه» الاخرى براغ ايام العز التي لم تعد قائمة.. براغ النقيضة لبراغ الراهنة..

يا علي عاشور، يا أبا ابراهيم، يا أبا الهول دم دم يا صديقي ورفيقي وشقيقي.. نحن ما زلنا نحن.. لكن العالم تغيّر.. تغيّر كثيرا.. وبراغ هذه لم تعد مهيأة لحياتنا، لكنها كما يبدو أصبحت صالحة لموتنا. رحمها الله رحمك الله رحمنا الله.. والى اللقاء...

☐ فل وفلفل – يوسف فرح

[illegible]

● البدر يدخل في الظلمة رويدا رويدا. حالة خسوف مؤلمة تجتاحه، ونجوم حوله حائرات، لا يدرين لهذا الغياب المفاجئ سببا.

لم يكن كذلك رحيلك.

هويت سريعا كالنيزك، كأنك تستكثر ان يتألم آخرون لألمك، او يشمت بك شامتون.

انهرت كما الحلم الذي جهدت لتحقيقه هنا، وتعزيزه هناك. مضيت بهدوء وصمت كطبيعتك.

في مثل هذا الشهر من عام الانهيارات المأساوية، قبل ثماني سنوات، وفي يوم ماطر بارد من أيام خريف براغ، لم يقعدك عامل السن ولا قساوة الطقس عن استقبالنا. الرفيق عبد الحكيم رابي وأنا. جئت انت وعارف العلي وزوجته اشتياق، ترفعون مظلاتكم تتقون بها حبات المطر الغزير. وفي جو كأجواء الروضة تعانقنا، قبلنا بعضنا كأطفال لا يدرون ما سوف يحل بالعابهم بعد قليل. كنا «ريحة الوطن» التي تنتظرون. اعتقدنا يومها ان الحلم باق لا يزول، وان شعوبا أخرى، يتأكلها الجهل والجوع والمرض على سطح هذا الكوكب، ستصارع من أجل تحقيق الحلم البشري في العدالة والمساواة. لم يخطر ببالنا قط ان المسرح الذي نقف عليه ذاته، هو المهدد بالسقوط.

كانت الدنيا هناك في غاية الجمال. وبراغ جعلت المتحاربين يتجنبون قصفها، لتواصل غسل شعرها في الدانوب. فلماذا ننغص متعتنا بأفكار غرابية سوداء!

هذه ساحة الساعة، حيث يتكدس بنو البشر من كل جنس ولون، في انتظار رتينتها العذب. كل ساعة يخرج الشخوص منها، يعزفون، يغنون ويحيون الناس المحتشدين، ثم يتوارون واحدا في أثر الآخر، ويصيح الديك ويتفرق المتفرجون.

وذاك المطعم الخشبي العتيق كأنه مقدود من جسد التاريخ يجمعنا بمن نحب. ومن غير أبي الأمين يلم بالعاصمة التشيكية ويدعونا الى سهرة تمتد الى عمق الليل! وفقط خشيتنا من اقفال ابواب المدرسة الحزبية حسب النظام، هي التي تحملنا على انفضاض السهرة وتفرق السمار.

وذلك جسر كارل مرست، الذي ينساب الدانوب من بين اقدامه في دعة وطمأنينة. تأتي النوارس الينا، كما في الحكايات، «تنتقد» الطعام من ايدينا، ثم ترتد الى اللجة.

وفجأة.. فجأة.. يتوقف كل شيء!

او تتغير المواقع ويتبدل جمهور النظارة. كأن ملائكة الساعة عافوا طقس الدخول والخروج الروتيني الجميل. وكأن الطيور البحرية زهدت في الفتات! لتعتلي ساحة المتحف الرحبة بشر يطلبون رأس النظام!

– ولا يمكن ان يأتي ذلك من فراغ». كان رأيك. فهنا في هذه البلاد لا ينقص شيء! تتوفر للناس فرص العمل فلا بطالة. ويرتادون معاهد العلم المجاني فلا جاهل ولا أمي. لكل مواطن مأوى تقدمه له الدولة فلا متسولون ولا متسكعون. لا بد ان ثمة مؤامرة عالمية يقودها الغرب خشية امتداد نور الاشتراكية، ويساعده شرق نصّب على نفسه دمى متآمرة. اذ كيف يمكن لحكومة ان تختفي كما شخوص الساعة، وتسمح للمعارضة بتغيير كل شيء!

اين الحزب واين حرسه الفتي! وما علاقة الجوع، على فرض وجوده، بتماثيل ماركس ولينين اللذين عاشا في جوع لأنهما سعيا لتخليص البشرية من اثاره! لماذا بأيدي هؤلاء يجري تهديمها!

قوات عسكرية تملأ مدرستنا الحزبية تتأهب للرد وانهاء الوضع الشاذ، لكنها تغادر في اليوم التالي، كأنها ما جاءت الا للتفرج على اشكال الحيطان، وأعطت للنغار يحطم بعضها!

هل هو خلل في الايديولوجيا؟!

يلح علينا سؤال طالما تجنبناه، ويستبد بنفوسنا الشك.

يومها لم تجد سوى مجلدات الكتب ومصادرها، تبسطها على طاولتك، وتروح تنقب في ثناياها، تسائلها عما حدث ولماذا يحدث؟!

كان استعجاله يا رفيق انه انهيار «شكل من اشكال تطبيق الاشتراكية»، طمأنتنا، وسوف يعود الحلم ويفرح الجوعى ويغتبط المتعبون.

ويعود وجه البدر بعد خسوفه

فهل انت مثل البدر سوف تعود..

كل شيء عن قُرحتي المعدة والاثني عشر

أجرت اللقاء: ابتهاج مجلي

● «١٠٪ من الناس يصابون بقرحة الاثني عشر خلال فترة من حياتهم، والأهم من ذلك ازدياد عدد المصابين من الأطفال بسبب اتساع انتشار الجرثومة المسببة لقرحتي الاثني عشر والمعدة. ولكن.. مقابل ذلك وفي السنوات الأخيرة، اصبحت امكانية الشفاء من الاصابة تصل الى ما بين ٨٠ – ٩٠٪».

هذه المعلومات أوردها الدكتور موسى سمارة اخصائي امراض الجهاز الهضمي والكبد في اثناء اللقاء الذي أجريناه معه حول قرحتي المعدة والاثني عشر والفرق بينهما.

* «الاتحاد» – ماذا نعني بقرحة المعدة؟!

– د. موسى: قرحة المعدة او جرح المعدة يعني وجود خلل في تركيبة غشاء المعدة او الاثني عشر في منطقة معينة منهما، والتسبب باحداث جرح عادي لتلك الأغشية مع امتلائه بافرازات من خلايا وبقايا خلايا ميتة، تكون على شكل مادة بيضاء.

* «الاتحاد» – ما الفرق بين قرحة المعدة وقرحة الاثني عشر؟!

– د. موسى: نستطيع القول بأن المسببات للاصابة بالقرحتين هي نفس المسببات مع اختلاف اساسي بينهما، وهو أن قرحة المعدة قد تتحول في حالات قليلة الى مرض خبيث، بينما لا يحدث ذلك مع قرحة الاثني عشر. لذلك فان قرحة المعدة تثير المخاوف لدى الطبيب، فيتابع حالة المريض باستمرار حتى التأكد من شفائه.

* «الاتحاد» – قبل ان نتطرق الى أسباب الاصابة – لنتعرف قليلا على المعدة؟!

– د. موسى: المعدة عضو موجود في أعلى البطن، يستقبل الطعام الذي نتناوله فيفرز افرازات من الحوامض والانزيمات التي تساعد في عملية هضم الطعام وتحليله. بعد ذلك تتقلص المعدة وتدفع به للاثني عشر ومن هناك للامعاء الدقيقة حيث يتم تحليله نهائيا وامتصاصه للجسم. ويجب الاشارة هنا الى أن المعدة تحتوي على كمية من الحوامض ذات تركيز عال جدا لا يمكن لأي عضو آخر في الجسم احتماله، ولكي تدافع المعدة عن نفسها من هذه الحوامض تقوم بافراز مواد قاعدية (البيكروبونات) ومادة تسمى «بروستا – جلندين» لتقوية الخلايا ومنع تآكلها.

* «الاتحاد» – وماهو دور الاثني عشر؟!

– د. موسى: هو الجزء الاول من الامعاء الدقيقة ويأتي رأسا بعد المعدة، لذا فان دوره يعتبر ثانويا. كذلك فان غشاءه لا يستطيع تحمل تركيز الحوامض العالي، فيفرز هو الآخر مواد قاعدية بكميات كبيرة لمعادلة الحامض، لذلك فان هذه المنطقة بالذات تعتبر المكان الأساسي لتكوّن القرحة او الجروح.

* «الاتحاد» – لنعد الى المسببات للقرحتين؟!

– د. موسى: السبب الرئيسي هو وجود جرثومة خاصة تعرف باسم "Helicobacter - Pylori" تعيش في جدار المعدة وتتسبب باحداث تغيرات في مبنى الخلايا في المعدة والاثني عشر، وتتسبب بالتالي زيادة افرازات الحوامض في المعدة وتلفا في غشاء المعدة او الاثني عشر.

* «الاتحاد» – وهل هناك مسببات اضافية؟!

– د. موسى: اسباب وراثية، فمثلا هناك عائلات لديها خلل في التحكم بكمية افرازات حوامض او انزيمات المعدة وزيادتها تؤدي الى تلف خلايا المعدة. سبب آخر، تناول أدوية معينة مثل تلك التي تعطى لاوجاع الظهر والمفاصل – خاصة الاسبرين – فهذه أيضا تحدث خللا في عمل خلايا المعدة وتتآكل بسبب الحوامض. كذلك الأسباب النفسية، الضغوطات والعصبية والتوتر ممكن ان تتسبب باحداث قرحة عند أشخاص لديهم استعداد للاصابة. فالتوترات النفسية تزيد ايضا من افرازات الحوامض وتحدث تقلصات في الأوعية الدموية في المعدة مما يؤدي الى انخفاض كمية الاوكسجين التي يجب أن تصل للخلية فتضعفها ويأكلها الحامض الزائد.

* «الاتحاد» – وماذا عن نوعية الطعام أو حساسية المعدة لانواع معينة من المأكولات؟!

– د. موسى: لا توجد هناك علاقة مباشرة بين نوعية الطعام وحدوث القرحة في المعدة او الاثني عشر، ولكن قد تسبب بعض الأطعمة زيادة في الأوجاع عند مرضى القرحة.

* «الاتحاد» – وماهي بعض الأطعمة هذه؟!

– د. موسى: المخللات، والقهوة خاصة اذا ما أخذت على معدة خاوية، والبهارات، والفلفل الحار، والمقالي.. وغيرها. لذا ينصح بالتقليل منها وليس بالانقطاع عنها. بينما التدخين هو الوحيد الذي قد يؤثر على حدوث قرحة او جرح لتأثيره السلبي على الأوعية الدموية في المعدة والاثني عشر واضعاف الخلايا. كذلك الكحول قد يكون أحد المسببات اذا ما أخذ بكميات كبيرة وعلى عكس ذلك اذا ما أخذ بكميات قليلة فانه قد يساعد في اندمال قرحة الاثني عشر.

* «الاتحاد» – وماهي أفضل الطرق للحفاظ على معدة معافاة؟!

– د. موسى: الانتظام بتناول ثلاث وجبات يوميا خاصة وجبة الفطور، والاعتدال بكمية الطعام، والامتناع عن شرب القهوة على معدة خاوية، والتقليل من التدخين وشرب الكحول والمخللات والمقالي والبهارات وكل نوع طعام قد يضايق المعدة، والتأكد من نظافة الطعام وصلاحيته خاصة اذا ما أخذ خارج المنزل، وعدم الأكل قبل النوم لان ذلك يثقل على المعدة التي تسترخي وقت النوم ولا يصلها الدم بشكل كاف، الأمر الذي قد يؤدي الى حدوث عسر في عملية الهضم.

* «الاتحاد» – هناك تعابير متداولة بين الناس مثل امساك المعدة وربط ذلك عند الاصابة بالاسهال. فهل هناك علاقة فعلا؟!

– د. موسى: هذه تعابير خاطئة، لكنها متداولة. فالصحيح انه لا علاقة للمعدة بكل هذه الأمور. والمشكلة تكون في مثل هذه الحالات مع الامعاء الدقيقة والغليظة.

(البقية على ص ٢٢)

☐ يقول: رغم انتشار الجرثومة المسببة للقرحتين أكثر من ذي قبل، الا ان امكانية الشفاء تصل ما بين ٨٠ و٩٠٪ ☐

وماهي الأعراض؟ وطرق الوقاية؟ ☐

هل عادت الأمراض المعدية الى الانتشار؟

● أعلنت مديرة معمل أمراض الجهاز التنفسي، في معهد «باستير» في باريس، عن عودة الأمراض المعدية بقوة، مثل نزلات البرد الشديدة والسل والدفتيريا. وذكرت ان الحيوانات، كالخنازير والطيور والحشرات، تشكل مستودعا ناقلا لتلك الفيروسات الى الانسان. وأوضحت ان السل أدى الى وفاة (٣) ملايين نسمة في انحاء العالم عام ١٩٩٥، معظمهم من الفقراء والمصابين بالايدز.

من ناحية أخرى طالب البروفيسور لويس بيريزا المعهد المذكور بزيادة الابحاث لمواجهة مرض الملاريا الذي يؤدي سنويا الى وفاة ما بين ١,٥ – ٢,٧ مليون مواطن واصابة ما يقارب الـ – (٥٠٠) مليون شخص.

☐ بحث في امريكا:

الجراثيم أشدّ مقاومة للمضادات الحيوية في بعض المؤسسات

● في بحث أجري حديثا في امريكا تبين ان نسبة الجراثيم المقاومة للمضادات الحيوية في مؤسسات المساعدة الاجتماعية عالية جدا. وربما يعود ذلك الى ظاهرة الاكتظاظ في تلك المؤسسات او صلاحية ابنيتها او نوعية العلاج الذي يتلقاه المرضى، خاصة وان جمهور المرضى الذي يؤم تلك المؤسسات ذو نوعية تختلف عن مرضى من سنوات ماضية، وان متوسط العمر آخذ بالازدياد مع جودة حياة ليست بالأفضل ومع جمهور كبير من المسنين. فأشخاص كثيرون ينقلون مباشرة من المستشفيات الى تلك المؤسسات.

ويشير البحث الى ان الاكثار من اعطاء المضادات الحيوية لمرضى ميالين للعدوى من التلوثات المختلفة يشجع على تكاثر انواع مختلفة من الجراثيم المقاومة.

د. جاك ماكو، احد الباحثين في هذا المجال، نشر مقالا حول الموضوع أكد فيه ان الحل لحصر هذه الظاهرة هو اولا وقبل كل شيء منع انتشار التلوثات داخل تلك المؤسسات الاجتماعية.

الأشعة فوق البنفسجية لعلاج الصداف تزيد خطر السرطان

● منذ سنوات السبعينيات وطريقة الأشعة فوق البنفسجية تستخدم في معالجة الأمراض الجلدية ومن بينها مرض الصداف الجلدي. الا ان احدى المجلات الأمريكية الطبية نشرت نتائج متابعة لحالة العديد من المرضى المصابين بالصداف الشديد ويعالجون بالطريقة المذكورة، فتبين ان نسبة خطورة حدوث السرطان لديهم تزداد بشكل كبير بعد (١٥) عاما من المعالجة او بعد الخضوع لـ (٢٥٠) جلسة علاج.

وبعد متابعة العلماء لما يقارب (١٣٨٠) مريضا تعرضوا للمعالجة المذكورة بين الأعوام ١٩٧٥ و١٩٩٦ وجدوا ان ٥,٢٪ من الذين خضعوا للمعالجة اصيبوا بسرطان الجلد الصباغي «الميلانوما». وتبعا للبروفيسور كلاوس وولف من جامعة فيينا في النمسا فان الأشعة فوق البنفسجية تترك تأثيرا تراكميا على الجسم، خاصة الجلد، لذا فمن الممكن ان يظهر السرطان بعد (٢٥٠) جلسة علاجية او بعد فترة طويلة من بدء المعالجة.

☐ رئيسة «نعمت» في مركز الجليل، ناديا ابراهيم لـ «الاتحاد»: المصانع الموجودة فقط للنسيج، وظاهرة اغلاق هذه المصانع تضاعف المشكلة، والضحية الأولى هي المرأة العربية العاملة ☐ ماهي البدائل؟ وما الذي يجري عمله لمحاولة حل المشكلة؟ ☐

● تعتبر المرأة العاملة في منطقة الجليل – وخاصة العربية – ضحية لوجود عدد كبير من العاملات اللواتي يحضرن من الجنوب اللبناني المحتل للعمل في المصانع الاسرائيلية في المنطقة، اضافة الى القادمات الجديدات، الأمر الذي ادى الى ازدياد نسبة البطالة بين النساء هناك.

حول ما تعانيه النساء في قرى الجليل، التقينا رئيسة «نعمت» في مركز الجليل، ناديا ابراهيم:

* «الاتحاد» – ماهو وضع النساء في هذه المنطقة؟

– ابراهيم: استطيع القول صراحة، انه سيء جدا. فالبطالة تعدت نسبة ٧٠٪ في (١٧) قرية في الجليل. فهناك صعوبات كثيرة تواجه المرأة العاملة، وفي معظم القرى توجد صعوبات في العمل خارج القرية ومن يعملن داخل القرية يواجهن مشكلة وجود أيد عاملة من الخارج.

* «الاتحاد» – تقصدين من جنوب لبنان.. والقادمات الجديدات؟

– ابراهيم: نعم، فوجود العدد الكبير من هؤلاء العاملات زاد من حدة المشكلة، والتي بدأت مع اغلاق العديد من المصانع، فنحن بالأساس نعاني من نقص كبير في وجود مصانع في الوسط العربي، وكانت العاملات تجدن متنفسا من خلال المصانع القليلة الموجودة، وبعد القرار باغلاق معظمها اصبح الأمر أكثر سوءا.

* «الاتحاد» – مجالات العمل الموجودة فقط في مصانع النسيج؟

– ابراهيم: نعم، المصانع عندنا فقط في مجال النسيج. وهنا الأيدي العاملة اللبنانية والقادمات الجديدات كثيرة، فهي تشكل أكثر من (٢٥٪).

* «الاتحاد» – ألا يمكن تغيير هذا الأمر والضغط لادخال عاملات عربيات؟

– ابراهيم: حاولنا عدة مرات، ولكن تبين لنا وبشكل واضح ان هناك اتفاقا ملزما لاسرائيل بضمان اماكن عمل لهؤلاء اللبنانيات، ولذلك اصبحنا اليوم نرى في كل مصنع على الأقل (٣٠) عاملة منهن.

* «الاتحاد» – هذا يعني ان المشكلة ستستمر، والنساء العربيات العاملات يبقين الضحية؟

– ابراهيم: من جهتنا في الهستدروت و«نعمت» لم نترك اية مؤسسة مسؤولة الا وتوجهنا لها، حتى وزارة التجارة والصناعة، ولكن احدا لم يساعدنا. ولذا وجدنا انه لا بديل أمامنا الا باقامة دورات لمبادرات تجارية، بمعنى تعريف المرأة على مجالات العمل التي من الممكن ان تبادر لاقامتها في مكان سكناها، وطبعا فهي ستحصل على دعم من وزارة التجارة. الى جانب هذا نضغط على الوزارة لفتح مصانع أكثر داخل القرى.

* «الاتحاد» – مشاكل النساء في منطقة الجليل لا تنحصر في البطالة؟!

– ابراهيم: نعم فهن كبقية النساء العربيات في البلاد يعانين من مشاكل عديدة أبرزها ظاهرة العنف، وعدم وجود الأطر الكافية، اضافة الى المشاكل التي تعاني منها الفتيات اللواتي انهين الدراسة الجامعية، بعدم توفير أماكن عمل خصوصا وان معظمهن يتوجهن لدراسة مواضيع تؤهلهن للالتحاق بسلك التعليم، مما يؤدي الى وجود عدد كبير بدون اماكن عمل.

* «الاتحاد» – ما الذي تفعلونه لمساعدة النساء؟

– ابراهيم: نقيم العديد من دورات الاستكمال والدورات التأهيلية اضافة الى المحاضرات، ومؤخرا نسعى جاهدين لفتح الحضانات، لمساعدة الامهات العاملات، واللواتي يرغبن بالعمل ووجود الاطفال في البيت يشكل عائقا امامهن. ونحن نأمل اليوم ان الوضع سيتحسن خلال السنة القادمة.

(آمال شحادة)

● الأضرار التي تنتج عن المبالغة في تنظيف البشرة هي ذاتها التي تنتج عن الاهمال في التنظيف. والمهووسات بتنظيف البشرة، يقعن في خطأ عند دعك الجلد بقطعة القطن المغموسة بماء «التونيك»، حينما لا يتوقفن عن الدعك الا بعد ان تكون قطعة القطن نظيفة تماما. وهذا خطأ كبير فالمبالغة في التنظيف تؤذي البشرة وتعرضها للالتهابات، لأنها تزيل الطبقة الخارجية الدهنية التي تحمي الجلد، مما يتركهن عرضة للاصابة بالحساسية والجفاف.

كما ينبغي التأكيد هنا على ان الماء الساخن يتسبب في جفاف البشرة بدرجة كبيرة، خصوصا في فصل الشتاء، مما يساعد على تكوين التجاعيد الصغيرة نتيجة لفقدان الزيوت الطبيعية للجلد.

قلة نوم الأطفال تؤثر على ذكائهم

☐ ان النوم حاجة فسيولوجية ضرورية، خصوصا للأطفال الذين هم في طور النمو، فقلة النوم تسبب قلة الذكاء.

وينصح الاطباء الآباء والامهات بتعويد اطفالهم على الرقود باكرا، على الا تقل فترة نومهم عن ١٢ الى ١٣ ساعة يوميا. وذلك حتى سن التاسعة. حيث يمكن الاكتفاء بعد ذلك بـ (٩) ساعات.

.. ونوم الرضّع على الظهر يحميهم من الحمّى

● تفيد دراسة اجريت، مؤخرا، على عدة الاف من الأطفال، ان الرضع الذين ينامون على ظهورهم هم أقل تعرضا للاصابة بالمعاناة من السعال والحمى والمغص من الاطفال الذين ينامون على بطونهم، ووجدت الدراسة التي أجراها د. بيتر فليمنج (من معهد صحة الطفل بجامعة بريستول البريطانية) ان واحدة من اثنتين من بين (٤٢) مشكلة صحية تزداد مخاطرها عند الأطفال الذين ينامون على ظهورهم.

واستجوبت الدراسة امهات لأكثر من (١٨) الف طفل حتى الشهر الثامن من العمر وسألتهن كيف يضعن اطفالهن اثناء النوم، فظهرت النتيجة المذكورة أعلاه.

...صادية مع اسرائيل بدى ... دون ان يشير صراحة

(البقية على ص ٩)

● بقلم: د. ادوار الياس ●

* قبل بضع سنوات تعد على اصابع اليد الواحدة، اليمنى او اليسرى ما يتفرق، ناولني الرفيق علي عاشور (ابو ابراهيم) دستة اوراق هي عبارة عن مخطوطة مقال وقال: اقرأ بتمعن! واذا ضحكت قل لي ما الذي اضحكك.

تأخذت الاوراق وانزويت في زاوية من الزوايا التي كان يسمح لي رئيس تحرير «الاتحاد»، في حينه، بالانزواء فيها. وكان هذا بعد ان طلع العراق من حرب الخليج العالمية وهو يغني: «سالمة يا سلامة»!

اخذت الاوراق وانزويت وشرعت بالقراءة. وخلال القراءة صدمتني اشراقة ابداعية لا يقدر على قطفها من اعالي عناقيد النجوم السماوية سوى مبدع متمرس، قضى حياته في مقارعة المتجبرين، دفاعا عن المظلومين.

وقرأت، وواصلت القراءة باستمتاع. وقبل ان اصل الى سطر النهاية اصابتني غصة وطفرت من عيني دمعة.

ولقد خصص علي عاشور مقاله ذاك للحديث عن الشاعر محمود درويش، بمناسبة عيد ميلاده الخمسين. وبعد ان اسهب في الحديث عن علاقات الزمالة والصداقة الحميمة، بينه وبين الشاعر، في النضال والعمل، وقبل ان يصل الى السطر الاخير كتب «ابو ابراهيم»:

– سيقول القارئ اللبيب ان علي عاشور تحدث في هذا المقال عن نفسه اكثر مما تحدث عن المحتفى بعيده، وهذا صحيح. لان العديدين كتبوا وسيكتبون عن محمود درويش، اما عن علي عاشور فلن يكتب سوى علي عاشور!

حقا، ان مثل هذا القول لا يصدر الا عن انسان كبير يتحلى بأرفع خصال الشجاعة الادبية والتواضع الثوري، هذه الخصال التي تحلى بها علي عاشور خلال معاركته للحياة وعلى جميع الاصعدة، السياسية والاجتماعية والادبية. وهذه الخصال وهذه المعاركة هي التي دفعته الى القول، في احدى قصائده التي كان ينشرها ويوقعها بالاسم المستعار «ابو الهول دم. دم»:

ليكتب على قبري!

* تحت العنوان اعلاه كتب علي عاشور في مجلة «الجديد» الحيفاوية، العدد (١٢) من العام ١٩٧١:

– «وداعا ايها الدنيا..
وداعاً للابدْ
فانا انتهيت..
ولا تهم نهايتي..
ابداً.. احدْ..!»

فهل حقا ان نهاية هذا المناضل العزيز لا تهم احدا؟!

* * *

● ما بين الدمعة والابتسامة عاش علي عاشور (ابو ابراهيم) في وطنه، مجسدا القضية الفلسطينية بكل ابعادها المأساوية والبطولية، مأساوية الشتات وبطولة الصمود واجتراح فنون الكفاح، بالمعدة الخاوية والكلمة الحرة الجريئة والمظاهرة الصاخبة والقصيدة الساخرة، مناهضا ومحاربا للقمع السلطوي، ومتحزبا للمستضعفين في الارض.

وما بين الابتسامة والدمعة رحل «ابو ابراهيم» في بلاد الغربة، مجسدا الحب الفلسطيني للعمل والحياة والجمال. ولا غرابة في ان يختار الرحيل في العاصمة التشيكية براغ، التي فيها وعنها يقال: انها عروس المدن واجمل العواصم العالمية.

ما بين الدمعة والابتسامة عاش علي عاشور ورحل، مخلفا تراثا ثريا، مخطوطا وشفهيا، في التحليل الفكري – السياسي والتواضع الاجتماعي – الاخلاقي، مشحونا بعواصف الصدق والصراحة وقول الحق.

لذا، كان من الطبيعي ان يجد صاحب هذه الخصال الرفيعة مكانه في صفوف الرعيل الاول الذي واكب تأسيس «عصبة التحرر الوطني في فلسطين»، في اواسط الاربعينات من القرن العشرين، العصبة التي اتحدت، لاحقا، مع الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي اصبح، بعد نكبة العام ١٩٤٨، الحزب الشيوعي الاسرائيلي.

ولذا، كان من الطبيعي ان يجد «ابو ابراهيم» نفسه، منذ مطلع شبابه، في صفوف كوكبة المعلمين والكتاب والصحفيين، الذين واكبوا صدور صحيفة «الاتحاد» في ايار العام ١٩٤٤، ليصبح مع مرور الايام مدفعا من مدافعها الثقيلة. ولكن..

قبل ذلك!

● وشاءت الاقدار وقرات «شعب الله المختار» ان يُلقى القبض على علي عاشور ورفاقه الشيوعيين، وان يُنفى من مسقط رأسه الغزاوي الى شمال فلسطين التي اصبحت، فيما بعد، اسرائيل. وعن هذا نشرت «الاتحاد» في عددها الصادر يوم الاحد (١٩٩٧/٩/١٤) مقالا لرئيس تحريرها، الزميل نظير مجلي.

ومع مرور الايام يشتد حنين المنفي، من بيته في جنوب وطنه الى شماله، للاهل. ويبعث إليهم برسالة عابقة بالمحبة والاشواق، من على صفحات مجلة «الجديد» الحيفاوية، في عددها الثاني عشر الصادر في تشرين الثاني من العام ١٩٥٥.

ومن تلك الرسالة التي نشرها علي عاشور تحت عنوان «اخي سعيد» نقتطف ما يلي:

– «تركتك يا اخي طفلا صغيرا، لا تدري من الدنيا سوى مرح الطفولة واللعب، وفرق بيننا عهد الطغاة، ولم اعد ابدا اراك.. سبع سنين مضت منذ ان فارقتك.. انني يا اخي قريب منك، احاول ان اراك لاضمك الى صدري واسألك عن امي وباقي اخوتي!

«ولقد منعتني ظروف الحياة القاهرة من الوصول اليك، بيني وبينك حدود، وعلى جانبها يقف الجنود بأسلحتهم النارية، على اهبة الاستعداد لاطلاق الرصاص..

«اتذكر يا اخي يوم ان زرتني في السجن وكان بصحبتك اخوك الصغير – حامد. لقد ارسلتكما امك لأراكما، وارسلت معكما الطعام الكثير الذي تعبت في تحضيره كثيرا.

ولقد ادخلكما الشرطي الواقف على الباب. ولا شك ان منظره قد ارعبكما: فقد كان ضخم الجثة طويل القامة..

«وانني لن انسى ما حييت تلك اللحظات. فانت تذكر ان حامدا قد اندفع اليّ بسرعة واخذ يدي.. ووقفت انت امامي تنظر ولم تستطع النطق، وانهمرت الدموع من عينيك، وانا ايضا لم استطع ان اتكلم واغرورقت عيناي بالدموع. واخذتكما بين ذراعي بقوة ورحت اقبلكما.

«ولقد انتزعكما الشرطي من احضاني بقسوة واخرجكما. ولا شك بأنكما انزعجتما من تصرفه القاسي..

«لا شك يا اخي انك تساءلت لماذا انا في السجن، وقد تعلمت في المدرسة ان السجن وجد للاشقياء والمجرمين، واخوك لم يكن شقيا او مجرما. لقد كان معلما في المدرسة، يعلم الاطفال من امثالك الاخلاق الحميدة. فماذا فعل اخوك حتى استحق ان يرسل إلى السجن؟!

«لا شك انك وجهت هذا السؤال مرارا الى امك فأجابتك: انه شيوعي، ولكنها لم تستطع ان تفسر لك معنى الشيوعية بالضبط، كما انها لم تفسر لك لماذا يرسل الشيوعيون الى السجن.

«لقد كانت امك يا اخي تحب الشيوعية وتدافع عنها امام الناس، لانها كانت تحب ولدها، فكانت تؤمن بأنه لو لم تكن الشيوعية شيئا حسنا لما كان ولدها شيوعيا...

«واعذرني يا اخي اذا تركتكم لتعيشوا كما يعيش الفقراء المعذبون.. واعذرني ايضا لانني لم استطع ان اوفر لكم حياة سهلة ولذيذة. وتركتك في اشد الحاجة الى العلم والثقافة، لتشق طريقك بين الاشواك والصخور. ولكنك ستتعلم كما تعلمت انا، من قبل، طريق النضال. وستدرك ان لا سبيل الى الحياة الحرة السعيدة بدون التضحية. ولا شك بأنك ستدرك قول الشاعر التركي العظيم ناظم حكمت:

«اذا لم احترق انا ولم تحترق انت فكيف يخرج من الظلمات نور؟».

«فشق طريقك في الحياة وتعلم النضال والتضحية، مهما كانت غالية، ولا تهب. فالمستقبل لنا ولابنائنا من بعدنا. وان غدا لناظره قريب».

وتمر الايام بمرها ومرها، وترتفع درجة حرارة الشوق للبيت والاهل في صدر المبعد من جنوب الوطن الى شماله. فيكتب فصلا من ذكرياته، وينشره في العدد الثاني (شباط) من مجلة «الجديد» الصادر في العام ١٩٥٦، تحت عنوان:

«اواه.. يا ابي..»!

● في هذا الفصل يتحدث علي عاشور، بايجاز، عن ذكرياته مع والده ابراهيم عاشور الذي كان شيخا جليلا واماما في الجامع، بعد ان تخرج من الازهر واصبح يعتبر حجة في الدين الاسلامي ومرجعا لكثير من علماء المسلمين في غزة. ومع هذا لم يكن متعصبا متزمتا، بل كان متواضعا اشد التواضع، قانعا بحياته البسيطة.

وكتب علي عاشور في ذكرياته المشبعة بالمشاعر الانسانية:

– «اكتسب والدي حب الناس وعطفهم. وجعل من الجامع مدرسة يؤمها طلاب العلوم الاسلامية واللغة العربية، فيقوم بتدريسهم وتأهيلهم لدخول الصفوف العالية والازهر الشريف. ويرفض ان يتقاضى اجرة على ذلك، فقد كان قانعا بهذا الجو من الاحترام والتبجيل».

وبعد ان يستعرض «ابو ابراهيم» طفولته ومطلع شبابه في كنف اسرته الغزاوية، ينهي ذكرياته بالوقوف عند رحيل والده المفجع الذي نجم عن اصطدام رأسه بعنف، بعمود تليفون، بسبب سيارة مرت بجانبه بسرعة كبيرة، خلال عودته من الجامع الى البيت، وبهرت بأضوائها الشديدة بصره الضعيف..

ويكتب علي عاشور في نهاية فصل الذكريات:

– «نظرت الى والدي المسجى على فراشه، وانهارت اعصابي، واخذت اقبله قبلات حارة واصرخ: اواه.. يا ابي!

«لقد كانت الصدمة قوية وشعرت مثل طفل ضائع.. ولكن سرعان ما ايقظتني الحياة من تلك الغيبوبة.. وسارت بي في طريقها».

وتسير الحياة، وعسلها المر. و«يطيب» المقام لعلي عاشور في عروس الكرمل، فيقيم لنفسه عائلة صغيرة، ويغوص في معارك النضال من رأسه حتى اخمص قدميه وزنازين السجون، التي دخلها

شريكاً في كلبشة!

● وعن المشاركة في الكلبشة كتب الشاعر سميح القاسم في زاوية «صفحات من مفكرة» المنشورة في العدد السابع من مجلة «الجديد» الصادر في العام ١٩٦٩، بعد تعرضه لاعتقال آخر:

– «رن جرس التليفون في المكتب (مكتب «الاتحاد») وكان المتكلم من الجانب الآخر ضابط شرطة: نريد ان نتحدث معك حول ديوانك الاخير الذي صادرناه.. التهمة الموجهة اليك اليوم خطيرة جدا.. انت متهم بالاشتراك مع آخرين في نسف منشأة النفط في ميناء كيشون على خليج حيفا.. هل تريد ان تعلم احدا بأمر اعتقالك؟».

● طيب الذكر علي عاشور والى جانبه صديقه ورفيق دربه النضالي عودة الاشهب امد الله في عمره ●

واما عن علي عاشور فلن يكتب افضل من علي عاشور

ويجيب الشاعر القاسم:

– «يهمني ان يعلم بذلك رفاقي في هيئة تحرير «الاتحاد». حين وصلت الى مركز البوليس وجدتني محاطا بأكثر من خمسة اشخاص هم مركز اعصاب شرطة حيفا.. وبعد ان سألوني: اين كنت، وماذا عملت من تاريخ كذا الى تاريخ كذا؟ ومن هم الاشخاص الذين قابلتهم من المناطق المحتلة؟ رافقوني الى غرفة التوقيف التي احفظها عن ظهر قلب.. ففي هذه الغرفة تضيت اكثر من نهار واكثر من ليل.. في صباح الخامس من حزيران ١٩٦٧ كنت انا والرفيق زاهي كركبي، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي، والرفيق علي عاشور، زميلي في هيئة التحرير، اول من دخلها من سجناء العدوان السياسيين ثم هلت علينا طلعات اخرى من طلعات الرفاق والاصدقاء».

ويقول ابن القاسم في مفكرته:

– «وفي الخامس من حزيران ٦٧ كان شريكي في الكلبشة، ونحن في الطريق الى سجن الدامون، علي عاشور، سجين سياسي مثلي..».

وتمر الايام، بحلوها ومرها، ويقدم محرر «الجديد» زاوية «صفحات من مفكرة» المنشورة في العدد المزدوج (شباط وآذار) من العام ١٩٧٠، بما يلي:

– «علي عاشور، من قدامى محرري «الاتحاد» الذين ارتبط اسمهم باسمها.. وبينه وبين «الجديد» ايضا، علاقات حب قديمة ومثمرة.. ولعلي فضل آخر لا ينكر عليه، هو كونه الروح الخفيفة التي تضفي على هيئة التحرير جوا من المرح، حتى في اشد نشرات الاخبار حلكة. ومن عادة ابي ابراهيم نظم القصائد وتأليف الاسكتشات الطريفة التي قد تغبط الشعراء.. وفي هذه الصفحات من مفكرة علي عاشور تمتزج الدمعة بالابتسامة، وقطرة الخمر بقطرات الدم، ويختلط الواقع الذي يعيشه علي في حيفا بالحلم الذي يعيشه في غزة..».

وبطبيعة الحال، ما كان يمكن ان ينشر علي عاشور صفحات من مفكرته بدون ان «يميل» علي حبيبته غزة وحواريها الشعبية، حيث رضع مع حليب الوالدة، حب الوطن والتواضع والكرامة. هذا الحب الذي تفجر في المهجر القسري داخل الوطن سخرية سوداء انعكست في كتاباته النثرية، وبرزت بشكل صارخ في كتاباته الشعرية. نعم.. الشعرية.

كثير هو عدد الذين تابعوا وخزات «ابو الهول دم. دم» الشعرية واعجبوا بها وصفقوا لها. ولكن! قليل هو عدد الذين علموا ان «ابو الهول دم. دم» هو الاسم المستعار الذي اختاره علي عاشور، كي ينفس عبره، شعرا، عن غضبه ومكنونات صدره. وكأننا به اراد القول: صحيح ان «ابا الهول» صامت، لكنه شاهد على مجريات الاحداث عبر العصور. فالويل الويل للطغاة حينما يتحرك وينطق «ابو الهول» العظيم.

وحينما سنحت لـ «ابي الهول» ريشة عاقلة شريفة نطق، وكانت ريشة

الشاعر عاشور

● ما اشبه اليوم بالبارحة، لا بل ان اليوم هو البارحة، وهذا ما تثبته بقرة «الامن» الاسرائيلي التي تواصل النتش والخفش في مشاتل الزهور.

ففي عدد تموز من مجلة «الجديد» الصادر في العام ١٩٧٠، وتحت عنوان «صار الامن عدو الامن» كتب «ابو الهول دم. دم» الذي هو علي عاشور:

«باسم الامن
وحفظ الامن
يدوس الامن
رجال الامن
* * *
باسم الامن
فقدنا الامن
وصار الامن
عدو الامن!»

* * *

● الامانة الادبية والواجب الاخلاقي يدفعان كاتب هذه السطور الى القول انه استفاد كثيرا من ارشادات علي عاشور وخبرته الفنية، ومنها:

– في العام ١٩٩٤، وعشية حلول العيد الـ (٥٠) لتأسيس صحيفة «الاتحاد» الحيفاوية، عملت على كتابة مقال غير منهجي عن «الاتحاد»، ليتناول مجالا وعر المسلك، الا وهو الجانب الساخر الذي كان له اثر في مواصلة طريقها ودفع محرريها الى مواصلة الحياة في احلك الظروف واقساها، في زمن الانتداب البريطاني والحكم العسكري الاسرائيلي وما تبعه من ممارسات تنكيلية وقمعية.

وخلال عملي على كتابة المقال تشابكت المعلومات مع التحليلات. ومخافة ان يختلط الحابل بالنابل، استنجدت بعلي عاشور، هاتفيا. وكان قد خرج الى التقاعد. وقبل مرور ساعة، واذ به يقرع باب مكتبي ويطرح السلام عليكم، حاملا حقيبة جلدية محشوة بالاوراق والذكريات.

وحول فنجانين من القهوة، وبعد الاخذ والرد، اكد لي انه يعد لاصدار كتاب بعنوان «شيء من الشعر وقليل من الادب» سيضمنه بعض قصائده التي لم تنشر، اضافة الى القصائد التي نشرها في «الاتحاد» و«الجديد» باسم «ابو الهول دم. دم» وليساعدني في صياغة مقالي سمح لي باختيار ما اشاء من القصائد التي لم تنشر. فاخترت قصيدتين واوردتهما في سياق المقال المنشور في ملحق «الاتحاد»، الجمعة ١٣ ايار ١٩٩٤.

● علي عاشور في طليعة مظاهرة الاول من ايار في تل ابيب في العام ١٩٧٦ ●

* * *

● بعد ان استوعبنا في هيئة تحرير «الاتحاد» نبأ رحيل علي عاشور المفجع، قام كاتب هذه السطور بجولة سريعة عبر صفحات مجلدات «الاتحاد» و«الجديد»، بحثا عن الكنوز السياسية والادبية التي خلفها لنا وللاجيال القادمة الراحل الكبير في معتقداته ومفاهيمه وتواضعه.

ومن خلال المعرفة الشخصية والصداقة والزمالة في العمل، لم استغرب من كون الوطن هاجس «ابو ابراهيم» الاول، ومن كون

غزة في القلب

● خلال جولتي الاستطلاعية السريعة في بطون المجلدات، انتبهت الى ان «ابو ابراهيم» لم يتحدث عن وطنه بين السطور، بل على رؤوس الاشهاد، رغم حلكة الليل السياسي – الاحتلالي – العسكري – الاضطهادي.

ولفت نظري ان علي عاشور كان يقول ما يريد قوله في عنوان ما يقوله، وعلى سبيل المثال:

– في عدد «الجديد» الصادر في تشرين الثاني من العام ١٩٧١، نشر قصيدة بعنوان «بلدي» قدم لها بالقول: «مهداة من غزي في اسرائيل الى غزة المحتلة». وجاء في القصيدة:

بلدي الحبيب..!
بلد الاحبة والصحاب
بلدي اللي قضيت فيه طفولتي
وعرفت فيه هوى الشباب
وعرفت فيه سعادتي
وعرفت فيه عذابي
لكنني احببته..
ولاجله طال اغترابي
* * *
اراك يا بلدي الحبيب
ونلتقي.. بعد الغياب
وارى تلالك والروابي
واموت فيك وانتهي
وانا سعيد في ترابي!
* * *
بلدي مصابك لم يزل
من كل ناحية مصابي
فعدوك الباغي عدوي
انّ ما بك مثل ما بي..
ويل الاعادي.. ويلهم
يوم الحساب.
* * *

● واذا كانت غزة في القلب فان فلسطين في صميم القلب. وها هو علي عاشور يكتب في العدد الخامس من مجلة «الجديد» الصادر في ايار ١٩٧١، وتحت عنوان

انا في بلادي

انا في بلادي
لست في ارض غريبة
انا في بلادي
في فلسطين الحبيبة
انا في صميم الشرق
في دنيا العروبة..
* * *
انا ما اتيت مهاجرا
ومعي حقيبة
واقمت لي دارا
على ارض سليبة
وجعلت من داري
على جاري مصيبة
انا في بلادي
رغم قوتك الرهيبة
* * *

● وشاءت الصدفة ان يرحل «ابو ابراهيم» في بلاد الغربة، ولكن الواقفين لها بالمرصاد اصروا على ان يحتضن تراب الوطن ابن الوطن، علي عاشور الذي قال في قصيدة له بعنوان: «يا بلادي»:

يا بلادي انت حضني
وملاذي وعمادي
انت فخري واعتزازي
انت في الدنيا مرادي
كل همي ان تكوني
جمرة تحت الرماد
فاحضنيني.. واحضنيني
واحضنيني يا بلادي!

(البقية على ص ٩)

من خلال لقاء ثلاث شخصيات جزائرية بارزة، الطاهر وطار ومحمد المسعودي وعائشة بوباكي، «الاتحاد» تحاول اعطاء الجواب:

(تتمة من ص ٤)

برلمانية واطلاق سراح زعماء الجبهة». فأجاب: «نعم. لان عباسي مدني، عندما وقع على اتفاق مع الحكومة ضد الارهاب، لقد معظم مؤيديه. ويحاول الآن استعادة مكانته داخل جبهة الانقاذ. وبالمناسبة، هو لا يفلح في ذلك، اذ ان مؤيديه لا يصدقونه. ويلتفون حول بلحاج. لكن بالمقابل هناك خلافات داخل الحكومة وهي تؤثر ايضا.

* «الاتحاد» – اذن، بلحاج هو الذي يحكم جبهة الانقاذ الآن؟

– مسعودي: من الصعب على شخص واحد ان يحكم منظمات الارهاب. فهي موزعة على مجموعات صغيرة. بعضها محاصر. ويتصرف بخوف. ويتخذ مبادرات ذاتية من اجل محاولة اثبات الوجود. والجزائر رحبة جدا. وليس من السهل السيطرة عليها بشكل مركزي.

* «الاتحاد» – هل هذا يعني ان المذابح ستستمر؟

– مسعودي: نتمنى ان تكون الفترة قصيرة. ولكن طول المدة او قصرها متوقف على تصرف الجماهير الواسعة. فالحكومة تتصرف بشكل سطحي وبطيء. لكن في المناطق التي اخذ فيها الجمهور زمام المبادرة نجحوا في صد الجماعات الارهابية. وفي بعض المناطق تمت تصفيتهم تماما، كما في الجيزل شرقي البلاد، وهي منطقة وعرية ضخمة. لكن الشعب انتصر فيها.

والسؤال، متى ينتصر شعب الجزائر كله على الارهاب، واسبابه؟

انه سؤال كبير، بل امنية كبرى. والمسألة ليست امنية فحسب. فللارهاب اسباب، سياسية واقتصادية واجتماعية. والحكومة، التي تحارب المجموعات الارهابية بالقوة العسكرية المترددة، لا تحارب اسباب نموها وتقويتها بنفس القوة والسرعة. بل بالعكس. فهي بنفسها تمارس ارهابا، عندما تقتل مائة سجين سياسي خلال قمع اضراب. وهي تتردد في الدمقراطية. ولا تعطي الحلول الملموسة للازمات الاقتصادية والاجتماعية. والعالم لا يقدم السند الكافي لها في ذلك، اذ ان الاستثمارات الاجنبية تتردد في الوصول الى الجزائر.

وهكذا، فما زالت اسباب الارهاب قائمة. لذلك من الصعب تصور حل جذري سريع للازمة.

● ملثم مسلح في باص.. «أصولي» أم «رجل دين»؟!

.. حـذار.. الخـطـر داهـم!

(تتمة من ص ٩)

«الدمقراطية» من السلطة الفلسطينية ان تكون غير دمقراطية، وان تنتهج اساليب ديكتاتورية باعتقال وسجن وتصفية، ضد مواطنيها، هكذا خبط عشواء؟

والولايات المتحدة، التي ترفع لواء حقوق الانسان، وهي ابعد ما تكون عن تطبيق هذه الحقوق على مواطنيها، والتي اصطدمت، دبلوماسيا، مع الصين وغيرها اكثر من مرة لان الصين في نظر الولايات المتحدة، «تخرق» حقوق الانسان – تأتي وزيرة خارجيتها لتطلب من السلطة الفلسطينية اعتقال المعارضة والمعارضين للسلام، هكذا اعتباطا، بدون اية تهمة، او بينة على تورط المراد اعتقالهم؟ فأين ذهبت حقوق الانسان؟

المستوطنون الفاشيون وغالبية وزراء حكومة اسرائيل ورئيسها في المقدمة، يعارضون السلام، ويمارسون فعليا كل ما من شأنه تخريب السلام، فلماذا لم تطلب اولبرايت من حكومة اسرائيل اعتقال نفسها واعتقال رئيسها؟

اقتحام نتنياهو وشلة المستوطنين الكولونياليين لمنطقة راس العمود، يجب ان يكون انذار حرب ونذيرا لشر مستطير قادم، ما لم تعمل الولايات المتحدة والحكام العرب وقوى السلام اليهودية والعربية على تداركه وابعاده، بتطهير هذه الحكومة التي تدفع المنطقة الى هاوية سحيقة، فان الحريق القادم لن يبقي ولن يذر.

في ذكرى صبرا وشاتيلا!

(تتمة من ص ٩)

الهدف لم يكن ابدا ضمان امن الشمال.

١٥ سنة اكدت ايامها الطويلة جدا ايضا ان رقصة التانغو لا يمارسها فرد بمفرده، بل تحتم الزوجية، اثنان معا، وان توفير الامن والاستقرار للشمال الاسرائيلي لا يتأتى لا بتوفير الامن والاستقرار للجنوب اللبناني، والذي يعني اولا انسحاب اسرائيل من كل الاراضي اللبنانية المحتلة الشرط الاساسي لوقف نزيف الدم. فالمقاومة اللبنانية تمارس حقها الشرعي، الطبيعي والانساني في مقاومة الاحتلال حتى كنسه والتخلص من دنسه.

١٥ سنة، ولم تستخلص حكومة اليمين اليوم العبر الصحيحة. لضمان الامن والاستقرار والسلام لاي شعب او دولة لا يتأتى عن طريق استغلال التفوق العسكري لاحتلال اراضي شعب آخر والعمل لفرض وقائع تحرمه من حقه في السيادة والحرية والامن والاستقرار، فحكومة نتنياهو، بممارساتها الكولونيالية العربيدة، تقتل حتى الآمال التي زرعت في حوض اتفاقات اوسلو بامكانية التوصل الى تسوية سياسية سلمية مع الفلسطينيين تُخمد بؤرة التوتر في المنطقة وتوقف نزيف الدم. فتصعيد عمليات الاستيطان، التي ابرزها مؤخرا محاولة تنفيذ مخطط الاستيطان اليهودي في قلب الحي العربي الفلسطيني في رأس العامود، يعتبر بمثابة اعلان حرب على الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة، ومسمارا جديدا في نعش العملية السياسية.

والعديد من المؤشرات تؤكد ان حكومة نتنياهو تهيء نفسها ليس اعدادا للتقدم نحو تجديد العملية السياسية وازالة العقبات التي وضعتها في طريقها، بل استعدادا لكارثة حربية مدمرة، فلا تخفي هذه الحكومة المغامرة انها تعدّ قوات خاصة وفرقا مدربة لحرب الشوارع داخل المدن والقرى لمواجهة «حرب الغوريلا» – حرب الانصار، في «حالة العودة» لاحتلال المدن والقرى الفلسطينية وتفجير حمام الدم من جديد!!

ان حكومة نتنياهو، بسياستها الممارسة، تلعب بنار قد تؤدي الى انتشار حريق مدمر، قد يشمل منطقتنا برمتها، فحتى لا تتحول منطقة الشرق الاوسط الى مسلخ صبرا وشاتيلا كارثي على المجتمع الدولي يجب كبح جماح العربدة الاسرائيلي والزام حكومة نتنياهو بوقف سياستها التي تهدد بنشوب حرب جديدة والانصياع للقرارات الشرعية الدولية وتنفيذ الاتفاقات المبرمة مع الفلسطينيين والانسحاب من الجنوب اللبناني ومن الجولان السوري، وآن الاوان لتتحرك اكثر فاعلية لقوى السلام الاسرائيلية لوقف خطر الحرب والكارثة.

طبت حَيّاً بيننا وطبتَ حيّاً في قلوبنا

(تتمة من ص ١٠)

بلياقة بدنية عالية.

وابو طوني يقول اما هنا واما هناك مشيرا باصبعه إلى مستشفى الحكومة، مستشفى حمزة القريب، او اذا شئت مستشفى رمبام، فاما ان نمارس الرياضة ونحفظ صحتنا او نصاب بعلة تضطرنا لدخول المستشفى القريب، اما هنا واما هناك.

من لم يكن جارك ويشاهد تعاملك مع زوجتك سلمى التي أصابها الشلل مدة ثماني سنوات، لا يعرف معنى الاخلاص والوفاء، ولنيا كنت لتلك المناضلة التي شاركتك مر الحياة ولا أجرؤ ان اقول حلوها، فهل كان فيها حلو؟ خاصة قبل ثلاثين عاما؟

كنت نعم الزوج الذي يرعى ام ابراهيم، تطبخ وتغسل وتكوي وتنظف البيت وأنت صابر صابر لا يعلم بك وبحقيقة وفائك الا من أكرمه الله ليعيش جارا لك، فكنت نعم الأخ الذي لم تلده أمي.

وفي بداية العام انتقلت أم ابراهيم الى رحمته تعالى وتركت كامل وزوجته في البيت ووزعت وقتك بين حيفا وبين «براغ» كما دعاها طيب الذكر محمد مهدي الجواهري، تزورنا كلما قدمت تشتري الحاجات من حانوت «ابو شافع» القريب مع صحيفة «معريب»، ماذا سيكون، وجوابك هو هو، لا بد ان تقوم الدولة غصبا عن كل معارض.

وفي «الاتحاد» عرفتك مكبا على الترجمة من الانكليزية او تنقل خبرا يمليه عليك رفيق من عرابة البطوف او الطيبة فلا فاكس ولا ماكنات تصوير حديثة ولا قديمة، من الصباح وحتى الليل بين المطبعة والتحرير في شارع مارتوحنا القريب، ماذا سيكون؟ – اسألك – ليس هناك قوى عاملة وهيئة تحرير موسعة تساعدك في التحرير والكتابة، وبتفاؤلك الذي لا يعرف التراجع، تقول: سوف تصدر «الاتحاد» ولن تتوقف عن الصدور. ستجد من يحررها ويصدرها ولو كان شخصا واحدا بمفرده، وكنت احيانا ذلك الشخص الواحد.

ويا أبا الهول دمدم

«ان الجديد مجلة شهرية فيها أدب/ ورئيسها الغالي صليبا يوم حفلتها هرب».

وتكتب ما كنت تسميه «شيء من الشعر وقليل من أدب»!

وكان لا بد لي من اصطحاب لجليك الدكتور جمال والمهندس كامل الى المقبرة لنختار مكانا يرتاح فيه جسدك المتعب العاني، اما روحك فسوف تبقى بين براغ وحيفا وفوق بيوت غزة التي احببتها بيتا بيتا، وفوق امواج البحر الذي أحببناه لأنه كان يجمعنا فجر كل يوم من جديد، وهاهو البحر قريب منك ولا بد انك تسمع أمواجه مهللة ومرحبة بهذا الجار الجديد القديم.

طبت حياً وطبت حياً في قلوبنا يا أبا ابراهيم وطابت ذكراك تبعث الأمل فينا كلما اشتدت حلكة الظلام فلا بد ان الفجر طالع.

(حيفا)

دراسة توثيقية

المسرح العربي الحديث وثنائية المحلية والعالمية أو الخصوصية والكونية (١)

بقلم: أنطوان شلحت

□ تشكل ثنائية اللغة المحلية واللغة العالمية واحدة من ثنائيات عديدة يعيشها المسرح العربي الحديث منذ السبعينيات، وربما قبل ذلك ايضا.

وهذه الثنائيات يصبّ بعضها – في قراءة كثير من النقاد العرب – في حصيلة السجالية التي تدفع المسرح العربي الى الأمام، بينما يصب بعضها الآخر في حصيلة التصادمية التي تشدّ بهذا المسرح الى الخلف.

وبطبيعة الحال يبقى من الصعوبة بمكان الوصول الى خلاصات ناجزة متعلقة بثنائية المحلية والعالمية وذلك لسبب رئيس واحد هو كون هذه الثنائية – شأنها شأن غيرها من الثنائيات – لم تنصهر كتابتها بعد في عقل وضمير المبدع العربي.

ولعل الجانب الأهم في ثنائية المحلية والعالمية كامن في أنها تشكل سبيلا من عدة سبل لبلوغ تعريف محيط لمفهوم الهوية. من هنا يمكننا أن نتكلم عن المحلية والعالمية من خلال الحديث عن ثنائية أخرى، مقابلة لها ومساوقة، هي ثنائية الخصوصية والكونية أو ثنائية التراث والمعاصرة. ويمكن ان تكون الاحاطة بأبرز الاجتهادات القائمة في المسرح العربي الحديث بهذا الصدد (أعني ثنائية الخصوصية والكونية او التراث والمعاصرة، لجهة استحصال مفهوم الهوية) مدخلا ملائما لتوصيل ما ينبغي الوقوف أمامه والمساءلة عنه.

هذه الاجتهادات يؤطرها اطار عام هو الحداثة. وعادة ما يكون أكثر العوامل تأثيرا في الموقف من هذه الحداثة هو غرب نكرهه ونعبده في الوقت نفسه.

وفي البحث عن الحداثة وكذلك في سيرورة التنظير لها نحن شهود، هذه الأيام، على أزمة تترك اصداءها وبصماتها على الفكر العربي المعاصر وبالدرجة الأولى التي يتأثر فيها الواقع العربي المعاصر وأميل الى رأي الكاتب والمفكر المصري محمود أمين العالم الذي يعتبر هذه الأزمة نتيجة لطغيان القطب الواحد (الرأسمالي) على العالم ليس سياسيا فقط بل ومحاولته فرض هيمنته الثقافية والأيديولوجية ايضا.

كيف يتم التعاطي مع سؤال الخصوصية والكونية (أو التراث والمعاصرة) في ظل هذه الأزمة؟

يراوح التعاطي مع هذا السؤال (وأنا أتحدث على مستوى الظاهرة الغالبة لا على مستوى الاستثناء) بين ثنائية ردود فعل:

من جهة هناك دعوة للقطيعة مع الذات والارتماء في أحضان الغير.

ومن جهة أخرى هناك دعوة للقطيعة مع الحاضر وترويج للاستنامة في أحضان الماضي.

والمسرح العربي شهد مراوحة في اطار هذه الثنائية ولا يزال يشهدها. وهذا ما يمكن التدليل عليه لدى توقفنا، بقدر مناسب من التفصيل، أمام الاتجاهات الراهنة للمسرح العربي المعاصر.

لكن من الأهمية بمكان أن نتفق، قبل كل شيء، على تحديد المفصل الذي سننطلق منه صوب محاولة مقاربة الاتجاهات الراهنة للمسرح العربي المعاصر. وأميل منذ البداية الى اعتبار العام ١٩٦٧ هذا المفصل، وذلك ليس من قبيل الاعتباط او الاعتساف وانما بدافع اعتبار واحد وحيد هو كون المسرح الانعكاس لما حدث ويحدث من متغيرات في البنية الاجتماعية والسياسية للمجتمعات. وفي ذلك العام (١٩٦٧) عاش المبدعون المسرحيون العرب، والمبدعون في العالم العربي عموما، ما يمكن توصيفه بأنه خلخلة نفسانية وفكرية وسياسية. وكان من نتائج هذه الخلخلة: * أولا – الكفر بكل القيم والمفاهيم التي أدت الى نكسة ١٩٦٧ * وثانيا – البحث، فكريا واجتماعيا وسياسيا وفنيا، عن أشكال وقيم ومفاهيم جديدة تحمل بذور البديل عما كان سائدا.

في اطار من هذا الكفر وذلك البحث الدائب انطلقت، في تواتر كبير، هذه اتجاهات مسرحية تحاول أن توجد خطابا فنيا دمقراطيا يكون واضحا ومتفاعلا مع القضايا الحقيقية للانسان العربي، من ناحية. ويكون خطابا فنيا مواجها – للتغرب وقيمه ومفاهيمه من منطلق التكافؤ والندية وليس التبعية أو التقليد، من ناحية أخرى.

ولعل تصديقا لكل ما سلف في ما يقوله سعد الله ونوس في توصيف عودته من باريس بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧:

«كنت في باريس [illegible] انهزت الأرض تحت اقدام البشر، وعندما عدت من باريس، أمسكت جريدة وجدت فيها مقالا لأحد الزملاء الكتاب يتحدث فيها عن موضة بعض الشباب، الشعر الطويل والثياب الفاقعة، ولقد دهشت، كيف يستطيع هذا الكاتب ان يكون سطحيا ولا مباليا الى هذا الحد! كيف يستطيع ان يتجاهل الرجة العميقة [illegible] البشر، وأن تشغله ظواهر صغيرة من شجون كل يوم! لم يحدث شيء، اذن.

«وفي الراديو يغني [illegible] [illegible]

«وأين ٥ حزيران اذ [illegible]

[illegible]

الاتجاهين:

* الأول – اتجاه البحث عن جذور المسرح أو الفرجة الشعبية في الثقافة العربية على اختلاف عصورها ومحاولة بناء مسرح عربي معاصر بالاتكاء على هذه الجذور وتوظيف منطلقاتها الفنية لتحقيق عناصر الفرجة. ويندرج في اطار هذا الاتجاه، ايضا، السعي الى توظيف الموروث الشعبي.

* الثاني – اتجاه الاستفادة من حركات التجريب في المسرح الغربي المعاصر. وهي الحركات التي تعلن قطيعتها شبه التامة، ان لم تكن التامة، مع المسرح التقليدي. ولعل أبرز اسمين يجلهما المسرحيون العرب في هذا المضمار هما الفنانين آرتو وجيرزي غروتوفسكي، مع ملاحظة أن تأثير الأخير أقوى بكثير:

□ البحث عن الجذور □

يعتقد الناقد المصري حسن عطية بأن العودة الى الجذور او ما يسميه «اقتحام عالم الموروث الشعبي وقيمه الثقافية» يكمن، من طرف المبدعين المسرحيين في مصر تحديدا، في البحث عن صياغة دعائم للهوية القومية، من جهة والبحث عن مرتكزات لثقافة اليوم في سبيل الاقتراب من الجماهير الشعبية من جهة أخرى. زدْ على ذلك ان البحث يرمي الى غايات ثلاث يحددها الناقد نفسه على الوجه التالي:

١ – الهروب من مواجهة الواقع.
٢ – التصدي لاستمرارية الحلم بعيدا عن معوقات الواقع.
٣ – محاولة اكتشاف العلاقة بين واستمرارية الحلم، وبين «معوقات الواقع».

والمهم ما يقوله عطية بنبغي العودة اليه وقائع التاريخ ولو قليلا. هذه العودة تظهر لنا، بصورة جلية، ان الحلم الذي صاغته الأجيال السابقة لعام النكسة وشاركت في تحقيقه على أرض الواقع في الخمسينيات والسبعينيات تحالفت ضده كافة القوى الخارجية والداخلية حتى تحطيمه في ١٩٦٧ محطمة معه غالبية القيم الثقافية التي ارتبطت بحلم مجتمع المساواة والكفاية والاستقلال والعدل، مجتمع الهوية المتحررة من كافة اشكال الاستلاب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري.

هذا الجيل – يقول عطية – وقف حائرا امام الهوية فالحلم المهزوم هو حلمه. حقا لم يصنعه لكنه تبناه وآمن به واعتنقه حتى اصبح اصلا في ايديولوجيته. غير أن هذه الحيرة لم تطل كثيرا فقد قرر هذا الجيل ان يفصل بين «الحلم» وبين «صانعيه». وتمثل هذا الفصل في صرخة واحد منهم «نحن جيل بلا أساتذة»، معلنا بذلك مسيرة القطيعة نحو الغد القادم ومؤكدا ان هذا الجيل هو امتداد لحلم الأمس لكنه ليس نتاجا لأجياله.

اذا انتقلنا الى ناقد مصري آخر هو فاروق عبد القادر فاننا نرى أنه يقسم جيل ما بعد ١٩٦٧ من المبدعين المسرحيين – وللتنبيه الى أن الحديث هنا يشمل مصر أول الأمر وآخره – الى مجموعتين او جماعتين:

* الأولى – جماعة جادة تحاول ان تبحث عن هويتها المتميزة بعيدا عن الاستلاب شبه المطلق داخل أطر الثقافة الغربية لكنها مضطرة بدرجة أو أخرى لتقديم بعض التنازلات لكي تمارس دورا ما ضمن «قواعد اللعبة المسرحية» التي افرزها واقع ما بعد الهزيمة وصولا الى ثقافة الانفتاح، وهي المرحلة المستمرة حتى يومنا هذا. ويدرج الناقد في عداد هذه الجماعة الكتّاب يسري الجندي ومحمد ابو العلا السلاموني ورأفت الدويري.

* الثانية – جماعة تمارس فعلها المسرحي بدافع موقف معقد بين الاستلاب التام داخل أطر الثقافة الغربية المعاصرة، التي يروق فيها «التجوال والمال»، ومن لم تضعف صلاتهم بقضايا الواقع المحلي من ناحية وبالتراث العربي والمشرقي من ناحية أخرى. ويدخل الناقد في عداد هذه الجماعة من يسميهم [illegible] [illegible]

ويمضي عبد القادر على التفريق [illegible]

[illegible]

الثانية مسهمون في تردي هذا الواقع ومستفيدون من بقائه وعاملون على مقاومة اي تغيير جذري فيه».

سبق ان ألمحت الى كون افراد الجماعة الثانية متفقين، في استلاب تام، على ان شكل المسرحية التي عرفها الاغريق القدامى والغربيون المحدثون هو الشكل النموذجي الذي يجب ان يحذوا حذوه ويصوغوا رؤاهم في اطاره. اما افراد الجماعة الاولى فيهمهم، على النقيض من هؤلاء، هم واحد وحيد هو التميز والفرادة. ولعل يسري الجندي هو النموذج الأكثر سخونة في التعبير عن هذا الهمّ وذلك عبر مضمون مداخلته التي شارك من خلالها في الندوة الفكرية الدولية لأيام قرطاج المسرحية ضمن دورتها الخامسة (تونس – ١٠/٢٨ – ٦/١١/١٩٩١).

في هذه المداخلة يعلن الجندي اختلافه الكلي مع القائلين ان مجيء مارون النقاش الى مصر سنة ١٨٤٧ يعتبر «الميلاد الحقيقي لفن المسرح العربي» مؤكدا انه يعتبر ذلك بداية الخلل في المعادلة التي تحكم العلاقة بين المبدع والمتلقي في المسرح العربي. ويمضي الجندي قائلا: «وكان بوسع مارون النقاش ان يكون بداية حقيقية للكوميديا الاجتماعية في علاقتها الحقيقية بالواقع والجمهور وان يقرب المسافة بينه وبين دور نعمان عاشور فيما بعد.. الا ان استناده الى المسرح الاوروبي في جزء كبير من اعماله أفسد عليه المحاولة.. اذ لم ينجح في استنباط معادلة صحيحة في التعامل مع المسرح الغربي بشكل صريح.. وظل استخدامه لفنون العرض الشعبية داخل هذه المحاولة متسما بعدم التوافق ولم يسفر عن شيء ذي بال في مسرحه من ناحية المضمون، وهو ما يؤكد ان المصداقية تنسحب على الفكر والفرجة معا وان أي خلل او تزييف انما يمس كليهما معا».

ويعكس مارون النقاش – يتابع الجندي – فان رجلا آخر هو ابو خليل القباني استطاع ان يلجأ للقصص الشعبي مستخدما فنون العرض السابقة عليه، ورغم ضعف الصياغة فنيا الا انه كان الأكثر صدقا والأكثر ارتباطا بالناس، فهو يرسل على الموجة الصحيحة – فكرا وفرجة – ليصل الى قلوب الناس ويردد صدى أوجاعهم.

ان مفتاح تصحيح المعادلة المختلفة في المسرح العربي كامن، برأي الجندي، في العمليات التالية:

* أولا – اعادة النظر في مسيرة المسرح العربي السابقة وتقييمها بشجاعة بعيدا عن كل ما هو مستقر حولها وفي ضوء اعتبار اساسي راهني هو: مدى ما حققته من تواجد وسط الجماهير ومن تعبير عنها بصدق وفاعلية وفي اطار الهوية الخاصة للجماعة، فكرا ووجدانا.

* ثانيا – الاقرار بالحاجة الى لغة فنية أكثر صحة وأكثر قدرة على التواجد والتأثير في كل ما يتعلق بالعملية المسرحية، وبالتالي فانه على المسرحيين ان يعيدوا النظر في مفاهيمهم وفي طبيعة تعاملهم مع أدواتهم الفنية وصولا الى صيغ أكثر صدقا وفاعلية – وقد لا تكون بالضرورة أكثر جدة – وذلك وفقا لهدف اساسي هو النجاح في التواصل مع المتلقي وتحرير وعيه ووجدانه المحاصرين حاليا.

* ثالثا – اعادة النظر في علاقة العملية المسرحية بالمؤسسات المسرحية القائمة وخاصة المؤسسات الرسمية، التي تمثل عائقا في تجاوز الوضع الحالي للمسرح. ولا شك ان انطلاق حركة مسرحية جديدة لاستعادة ارض الجمهور ووعيه تحتاج الى مبادرات حرة بالدرجة الأولى او الى مؤسسات أهلية، يملك زمامها المسرحيون أنفسهم.

* رابعا – ان أشكال الفرجة المسرحية، في تنوعها وفي ارتباطها برصيد تراثي ما في وجدان جماعة ما، هي مسألة ترتبط بمكان العرض وأدواته وتحتاج الى وقفة خاصة من المسرحيين حتى يحرزوا لصياغاتهم المرجوة اكتمالا واتساقا يحققان الهدف منها.

وفي هذه النقطة بالذات (الرابعة) قدم الجندي تلخيصا لحصيلة تجربة «حركة المسرح الاقليمي» في مصر التي بدأت منذ السبعينيات وقامت على فكرة اقتحام اماكن التجمعات في الأقاليم المصرية لتقديم عروض دون خشبة مسرحية وبامكانيات بالغة البساطة وعلى نحو أدى الى علاقة اتصال خاصة ومباشرة مع الجمهور خصوصا اذا كانت العروض تطرح ما يتعلق بمشاكله أو قضاياه او تراثه. ومن خلال هذه الحركة بدأت تتخلق تقنيات خاصة بالعرض المسرحي وفقا لواقع الامكانيات المتاحة وطبيعة التعامل معها وهو ما تمخض عن نوع من الاتساق التلقائي المرهف ومن الحميمية البالغة في علاقة العرض بجمهوره.

(يتبع)

سعدالله ونوس

محمود امين العالم

فاروق عبد القادر

(البقية على ص ٩)

الناقوس ما بين الحلم والكابوس

بقلم: شربل عبود

□ «غسل وجّك يا قمر» هي أحدث مسرحية يقدمها المسرح العربي في اسرائيل. ألفها الكاتب انطون شماس، وهي من فصل واحد. زمانها الفني محدد بعدد من الساعات. يبدأ في الثانية من فجر السابع من حزيران عام ٢٠١٢ وينتهي في الصباح. تجري احداثها في بيت حيفاوي.

تبدأ المسرحية بالقاء الضوء على نعمان وبشير، وهما لصان حيفاويان أرسلا الى بيت محام عربي، يسكن في حي الكرمل اليهودي في حيفا، للبحث عن شيء لا يفقهان حقيقته. بشير لا يعرف من أرسلهما ايضا.

خلال وجودهما في البيت يدخل عليهما مجيد العبد الله. وهو فلسطيني مطارد يبحث عن مخبأ آمن. تكون علاقته باللصين سيئة في البداية، ثم تتحسن عندما يذكره نعمان بصداقته مع والده. وتتوثق العلاقة بينهم وتتحول الى مصير مشترك عندما يعلمون ان باب البيت مقفل ولا يستطيعون الخروج منه حتى مجيء صاحبه.

في الصباح يعود الزوجان سالم ونوال شرارة من القرية، حيث شاركا في جنازة أحد اقرباء سالم، الى بيتهما في حيفا. حين يريان باب البيت مفتوحا يتملكهما الرعب والمفاجأة. يجد سالم في بيته نعمان ابن قريته، الذي انقذه من أكثر من ورطة، ويجد كذلك مجيد العبد الله وهو يعرفه جيدا. تطلب نوال من زوجها ان يطرد مجيد العبد الله لانها تشعر بالخوف من وجود هذا الفلسطيني المطارد الغريب في بيتها، وتصفع نعمان في أول فرصة تسنح لها. مجيد العبد الله يعرف عن العلاقة السرية بين نعمان ونوال.

بعد مكالمة تحمل وراء سطورها ألغازا بين مجيد العبد الله وسالم، ويشتم منها انها تجري بين عميلين، قد يعملان لجهة واحدة، يوافق سالم على ابقائه في بيته اياما. نعمان وبشير يغادران البيت بكذبة أنهما رفيقا مجيد العبد الله – الذي اختلق هذه الكذبة.

ينتبه سالم الى ان ثمة شيئا مفقودا في البيت، يضطرب ويهاتف جسما معينا مكتفيا بلفظ الشيفرة («غسل وجّك يا قمر») لتكون بعدها تصفية مجيد العبد الله باطلاق الرصاص عليه من قبل ملثمين دخلا البيت لحظة كانت نوال تغادره.

تقدم المسرحية قراءة متشائمة ورؤية سوداوية شاملة حتى ان «المستقبل قد أغلق وأصبح وراءنا»، وينعكس ذلك من خلال الأحداث وعلاقة الشخصيات ببعضها البعض. فالخيانة، الخداع والفساد هي التي تحكم شبكة العلاقات بينها.

كاتب المسرحية متشائم من أكثر من وجه: لانه يرى ان الحركات الوطنية الفلسطينية آخذة بالتحول الى عصابات يغلب عليها طابع العنف، الجريمة والخيانة، ولان أكثر من انتفاضة ستقوم ولن يتحسن شيء بالنسبة للفلسطينيين. وهذا يعني ضمنا فشل عملية السلام الجارية حاليا. ولان العصابات هي التي سوف «تحل وتربط في الجليل في الليل»، ولانه يرى ضياع الهوية الوطنية والثقافية لدى الفلسطينيين في اسرائيل. ولان الجيل الجديد منهم يجهل تاريخه وتراثه، بل هو جيل من ضياع وفراغ فكري وثقافي ووطني وسياسي واجتماعي، ولأن هزيمة حزيران الجديد لا دخل للاسرائيليين فيها بل هي من صنع ذاتي. ولأن الأفلام المصرية ستظل على حالها ورائدة في مجالها، تنتهي على خير وتعد العرب بمستقبل افضل ويملاقاة القمر.

باختصار، هو متشائم لان كل شيء آخذ بالضياع: الجيل، الهوية، الثقافة، القضية، السلام. والحالة هذه لن يعثر أحد على كلمة السر، ولن يبقى امام المعنيين سوى التوقيع تحت مقولة: «ان ما نجحت به اسرائيل هو أنها حولت حلمنا الى كابوس».

الكاتب اذا متشائم فيما يرى، وهو يستطيع ان يكون كذلك حتما، لما ذكر أعلاه ولأسباب أخرى ممكنة، لكن الأكيد هو انه لم يبغ تقديم مسرحية تعمم السوداوية على الملأ، فهذا لا يحتاج الى الفن ولا الى فن، والأحداث اليومية في الواقع كفيلة بتوفير ذلك بأسهل وأنجع السبل.

ان نص المسرحية، حقيقة، ليس سهلا وذلك بحكم ما فيه من فجوات واشارات وايحاءات كثيرة، وهو يشكل تحديا جديا للمتلقي الذي يحتاج الى بذل جهد معين كي يملأ الفجوات النصية ولو جزئيا، ويحتاج كذلك الى عمليات ربط بين التفاصيل التي يشير اليها النص تلميحا او غمزا او لمزا. اذا، المطلوب هو متلق فعال نشيط. المتشائم قد يقوم بذلك ايضا لكن العبث ينخر كل شيء فيه وحوله ولا يجد دائما تبريرا لنشاطه.

ان الجانب البنيوي للمسرحية يتماشى تماما مع بحثها عن متلق فعال فحسب، بل عن انسان فعال اجتماعيا وسياسيا. في هذه النقطة يتلاحم مبنى المسرحية بمضمونها بشدة.

ما هو واضح بالنسبة للكاتب وسيرته هو انه ممن يأخذون بالقول/ الفكر دون الفعل. هنا تجوز المقارنة بينه وبين الكاتب اميل حبيبي في تناول كل منهما لعلبتي التفاؤل والتشاؤم: شماس أخذ علبة التشاؤم وترك علبة التفاؤل، بحكم رؤيته للأمور. اما الكاتب اميل حبيبي الذي ربط بين الفكر والفعل في حياته، وكتب «المتشائل» في خضم نشاطه السياسي والأدبي، فانه أفرغ نصف علبة التشاؤم وصب نصف علبة التفاؤل فيها، ثم حركها ليحصل على كوكتيل التشاؤل الذي أثبت مفعوله.

ان ما يقوم به شماس بتشاؤمه – ان كان صادقا او استراتيجية أدبية – هو انه ينذر المتلقي ويحفزه ويثير فيه طاقة العمل الفعال، كي يفعل شيئا ملحا وذا معنى، رغم انه (الكاتب نفسه) لم يستهلك شيئا من هذه الطاقة التي تفتح بابا للتفاؤل وتعطي سببا لوجوده أصلا. هذا هو تشاؤم شماس الذي يبعث على الفعل والتفاؤل.

□ الآن وفيما بعد في الوقت نفسه □

نعرف من خلال المسرحية ان أحداثها تجري عام ٢٠١٢، وفي فجر السابع من حزيران تحديدا، وهذا التاريخ كفيل بان يعيدنا الى حزيران العام ٦٧، الى الهزيمة والانكسار. لكن حزيران الجديد هو في الحقيقة، كما يستدل من المسرحية، سيكون أصعب. فالهزيمة التي كانت أمام الاسرائيليين سابقا ستتحول الى هزيمة عربية الصنع والأطراف – الأبطال.

تجري احداث المسرحية بعد حوالي (١٥) عاما، وهي فترة تاريخية غير طويلة في حياة الشعوب، ولذلك فانها تشير الى الوتيرة السريعة التي تتدهور فيها اوضاع الفلسطيني والعربي، فالزمن القصير كاف للفعل فعله فيهما.

من هنا هذا يعني ايضا ان ما لا يمكن حدوثه في عام واحد او اعوام قليلة بدأت ملامحه وعلاماته تبدو الآن. ولكنها لما تزل غير واضحة. المسرحية تعمل، في هذه الحالة، عمل المجهر بدقائق الكائنات. وهي، الى ذلك، لم تسع الى تناول واقع اليوم انما واقع عام ٢٠١٢ كاستعارة للمستقبل، ما يجعل بعض التوقعات، عما سيكون، مبالغا فيه في نظرنا، الآن.

ان تأخير زمن احداث المسرحية عن حاضرنا هو شكل من أشكال التغريب، فنحن، كمتلقين، نرى ان شخصيات المسرحية، وهي سلبية كلها بمعاييرنا الحالية، ليست كائنة اليوم بهذه الحدة، وانها ما قد تكون عليه فيما بعد، لذلك فلا يجوز ان تكون هذه الشخصيات نحن أنفسنا، ولهذا لا نشعر بالتعاطف معها او بالميل والانتماء اليها. هي،

(البقية على ص ٣٢)

• د. فهد ابو خضرة •

نقوش على وجه الزمن

يَترأون الحلمَ الطالعَ مِنْ وهمِ المنافي
حينَ يزهو جسداً في ساحة البحرِ الكبيرِ
فيرونَ الأفقَ مطوياً على جرحٍ مُعادٍ،
أوجهُ الأنهارِ تمتدُ بها النهدةُ،
والفجرُ على الغاباتِ مسودٌ جريحٌ.
صورُ الأشباحِ في ذاكرةِ الأشجارِ
ترتادُ المباديَن وتحتلُ الزوايا.
– أينَ تاريخُكَ؟
– في الشوكِ. وتاريخُكَ؟
– في النارِ.
– هباءٌ تولدُ الأيامُ للريحِ وللسُّهدِ المريرِ.
ما على الصخرِ اذا لانَ؟
المرُّ يتحولُ نبعهُ شَهْداً مُذابا؟
ما على السيفِ اذا أُغمدَ؟
والسهمِ اذا ملَّ الخضابا؟
ما على الليلِ اذا أطلعَ أقماراً... وغابا؟
أغرقوا في صحوةِ الرملِ ارتحالَ الواثقينَ
أحرقوا في لهفةِ الحاضرِ والآتي جموحَ
العابثينَ
كلُّ مرتدٍّ الى الأوهامِ منبوذٌ
ومَنْ لا يتحلّى غيبهُ يحملُ عينيهِ ويرحلْ
غدكم وعدٌ هو الوعدُ الذي سوفَ يكونْ
لا الذي كانَ
وأرضُ اللهِ لا تورثُهُ.

أنى يُكشفُ السرُّ لمن يكرهُ؟! ضاعتْ
بيننا النشوةُ
واجتُثتْ منَ الأعماقِ أنوارُ اليقينْ.
آهِ لو يفهمني الزنبقُ اذ أروي لهُ
غُربةَ الأجيالِ والضوءَ الأسيرا!
أينَ منكم مَنْ اذا قدمتمُ شوكاً لهُ
قدّمَ وردا؟
مَنْ اذا أخطأتمُ بارَكَ،
مَن يعفو عنِ الضعفِ ولا يحملُ حقدا!
لا تقولوا: هو في الغيبِ ولن يولدَ فينا
لا تقولوا: هو فردٌ وسيبقى أبدَ الأيامِ فردا!
ازرعوا أسرارَهُ فيكم لتحيا
ولتحيوا
ازرعوا أسرارَهُ فيكم لتزهو
أرضكمْ مِنْ أولِ الرملِ الى البحرِ الكبيرِ
أرضنا من أولِ الرملِ الى البحرِ الكبيرِ
ويكونُ الحلمُ الطالعُ تحتَ الفجرِ
والوعدُ لقاءً أبديا.

• سامر خير •

ليس بي أي ليل عليك

يا أبي
لَيس بي أي ليلٍ عَليْكَ
(.. نَسَجْتَ صباحي بليْلِ القبيلةِ
لوْلاَ نجوَمي)
أبي!
(آه.. لوْ عَرَفَ البردُ ما البردُ بي
كانَ حَرّ قليلاً عَليَّ)
أبي!
لَيْس بي أي لَيْلٍ عَليكَ
وألثمَ عشبَ يدَيْكَ
وأغفر حزن الحجارة في قدَميْك
وَحزنَ الهَواءِ القليلِ
الذي كان يَكفي لبعضٍ من العمرِ
حتى التُرابِ القليلِ
وجُرح أبيكَ
وَرَعْدَ عيونكَ في المحلِ..
هذي يدي
غيمةٌ في يديْكَ
وهذا غدي
عائدٌ في خطاي إليْكَ
لَيس بي أي ليْلٍ عَليْكَ!

أماماً!

أرى عرباً كالعَرَبْ
أرى عرباً يضربون النخيلَ
ليُثمر في السّنة القادمةْ
أرى كيف توأدُ فوق التّراب امرأةْ
أرى هامةً بين أهلِ القتيل تصيحُ
أرى ظلّ شمسٍ قديمةْ
وآثارَ ماشيةٍ عَبَرتْ من هُنا
قبلَ ألفِ سَنَةْ!

كيف تسقى زهورٌ صناعيةٌ في
الرمالْ؟
كيف تمتد آثارنا قبل أن ننطلقْ؟
كيف يمضي القتيلُ الى الحورِ
قبلَ القتالْ؟
كيفَ تسبقنا خطواتُ القدامى؟
أماماً اماماً اماماً!

شاعر

... يشربُ في المقهى قهوةً بعدَ
الظُهرِ
ليستيقظَ أكثرَ. ما أهدأ ضجةَ
حيفا!
تعبرُ قربَ النافذة امرأةٌ مسرعةٌ
(عاشقُها ينظرُ في ساعته)
ويمرُّ عجوزٌ
(خلف خطاهُ حفيفٌ محروقٌ)
.... سيمرُّ أمام المقهى
أشخاصٌ لا يَعرفُهمْ
أشخاصٌ كثرٌ سيمرّونَ
أمام المقهى
لكنْ.. كم شخصاً
يكتبُ بينَ الأقواسِ؟

المرأة العربية الكاتبة في التسعينيات: ماذا أضافت الى مكتبة الثقافة العربية؟

• بقلم: نوري الجراح •

شهدت سنوات التسعينيات منذ بدايتها طفرة واسعة لكتابة المرأة في الوطن العربي، وتدفقت على المطبعة العربية عشرات الاعمال الادبية والفكرية التي وقعتها نساء، وقد استقطبت بيروت والقاهرة معظم النتاج الادبي والفكري العربي، فنشرته وقدمته الى الاوساط الادبية وطرحت السؤال النقدي حوله واشاعت مناخاً من التفكير فيه بصفته علامة جديدة على تحول اجتماعي وثقافي كبيرين يحتاجان الى نظرة فاحصة متاملة

● اذا كان السؤال حول الكم، هو سؤال حول ما هو لافت كظاهرة، فان السؤال الاكثر جوهرية هو: ما الذي اضافته كتابة المرأة في حقول الابداع المختلفة الى التراكم الثقافي العريض، والذي ظل الرجل يشغل الحيز الاوسع فيه، بعدما كان يشغل المساحة كلها؟ وما هي الاضافات الجمالية والفكرية التي قدمتها المرأة للكتابة من خلال الموضوعات التي طرحتها وعالجتها في ادبها والهموم التي تفكرت فيها؟

قبلا، خلال النصف الاول من هذا القرن، نظرت ثقافتنا العربية الى المرأة بصفتها كائناً يطلب الحرية، واعتبر النقد كتابتها الادبية بوحا وتصعيدا عاطفياً يتلبس لبوس الكلمات وليس ادباً خالصاً. وقد تأخر الوقت حتى تغيّرت هذه النظرة. ولم يبرز من بين عدد كبير من الكاتبات سوى بضعة اسماء يرى النقد انها جديرة بأن يذكرها تاريخ الادب، بينها نازك الملائكة ومي زيادة وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) وأمينة السعيد ونظيرة زين الدين والفت الادلبي وسلمى الخضراء الجيوسي ولطيفة الزيات وصولاً الى غادة السمان وليلى بعلبكي وليلى عسيران وسنية صالح وخالدة سعيد ورضوى عاشور وسلوى بكر وحنان الشيخ ورجاء عالم وغيرهن، على ان الانفجار الانثوي الكبير الذي وقع على المنقلب بين الثمانينيات والتسعينيات من هذا القرن سرعان ما حمل معه الى الثقافة والادب انقلاباً في بعض المفاهيم وجرأة اكبر في تناول الموضوعات واتزاناً في البوح فضلا عن قدرة على ابداء حذاقة عالية في الابتكار الجمالي والفني وفي التعامل مع اللغة الأدبية.

وقد ترافقت المغامرات الجمالية والتعبيرية في الرواية والشعر والقصة القصيرة وحتى في الكتابة للمسرح مع حضور ملحوظ للمرأة في حقل الدراسات الفكرية والادبية، الامر الذي ادى الى ولادة سؤال نقدي مؤنث، يقابله سؤال حول المؤنث في النقد عموماً. وبمساهمات من كتاب راحوا يقرأون الظاهرة الادبية الانثوية، فلم تكتف المرأة بأن راحت تبدع وتطرح سؤالها النقدي وانما حضت الرجل على الانخراط في طرح السؤال، ومحاولات الاجابة عنه، أو محاولة زحزحته نحو وجهات تمكنه من التفكير في سؤال المرأة من موقعين: موقعه الخاص كرجل شرقي، وموقعه ككشاف يحرص ان يكون عادلا بصدد المرأة ومكانتها الاجتماعية واحقية نظرتها الى نفسها باستقلالية تتجاوز المواقع السلبية في العلاقة مع الرجل الى مواقع الاختلاف الحواري الايجابي معه.

تبدل اللغة

ان واحدة من علامات تبدل لغة المرأة في الكتابة الروائية العربية الحديثة جاءت مثلاً مع لغة الرواية عند الكاتبة اللبنانية هدى بركات التي اصدرت روايتين، الاولى «حجر الضحك» والثانية «أهل الهوى» واعتبر النقاد روايتها الاولى فتحا جمالياً وتعبيرياً جديداً، وأضافة لا يمكن العبور عليها عندما يجري الكلام عن الرواية، ولا سيما على صعيد زحزحة الصورة التقليدية، والموقع التقليدي للراوي وبناء شخصية غير مسبوقة، وإعطاء لغة نبرة وعلاقات بناء جديدة كلية.

وفي هذه الرواية وقبلها قليلاً وبعدها بقليل، شهدنا في مصر ولادة كاتبات روائيات وقصصيات لافتات للانتباه، كسلوى بكر التي [illegible] لا يمكن انكاره الى موضوعات [illegible] الروائي في رواية المرأة، سواء [illegible] والقصة [illegible] [illegible] الحياة [illegible] [illegible] بها التوق الى التعبير عن انسانية المرأة حد خلخلة المؤنث فيها.

ولو تجاوزنا هذين النموذجين من الكاتبات الروائيات الى المساحة الاعرض فاننا سوف نلمح اول ما نلمح تمكنا مدهشاً من بناء علاقات جديدة مع اللغة، وتحويل المادة الادبية الى مادة طيّعة يمكنها ان تصوغ الصورة والفكرة والموضوع، والانطباع والحالات التي تقاربها المرأة بيسر كبير احياناً، وهو ما يدل على أنّ انتشار التعليم وانخراط المرأة على نحو واسع في ميادين العلم والعمل شكلا لها مظهراً حياً جعلها قادرة على استلهام خبراتها الانسانية بقدرة وحذاقة ومعرفة لا تقل أهمية عن تلك التي يملكها الرجل، فضلاً عن كونها خبرات مختلفة في مكوناتها عن خبراته الخاصة لما في التجربة الانثوية من خصوصيات شعورية وفكرية واخلاقية لا سبيل الى مطابقتها مع نظائرها لدى الرجل.

وقبل ان نعرج على الشعر، لنلمح بعض المعالم والخصوصيات الجمالية والفكرية للمرأة في هذا الفن، لا بد من الاشارة الى ان جيلا كبيراً من الروائيات والساردات العربيات هو في سبيله الى بناء صورة جديدة للكتابة الروائية، ويكفيني أن أشير هنا الى ميرال طحاوي وسحر الموجي وسلوى بكر ورضوى عاشور وسمية رمضان من مصر ورجاء عالم وأميمة الخميس من السعودية وسلوى مطر سيف ونوره باهي من الامارات ولطفية الدليمي وسالمة صالح وميسلون هادي وسميرة المانع من العراق ونادية خوست ومها حسن وغالية قباني من سوريا، وهدى بركات وهاديا سعيد ونجوى بركات ورينيه حايك من لبنان، وغيرهن كثيرات هنا وهناك في متسع الجغرافيا الادبية العربية. لعل الاضافات التي قدمنها لا يمكن اختصارها فقط في موضوعات الكتابة ولغة التعبير وأشكال السرد والقص والبناء الروائي وانما حتى بجوهر العملية الادبية نفسها ومغزاها النهائي. لكن رصد هذا المتغير وهذه الاضافة انما يحتاج الى رؤى نقدية وقراءة مبدعة وحركة نقد نزيهة وذكية معاً. وهو ما لا يبدو متوافراً حقاً مع نهاية هذا القرن العربي العصيب.

المرأة والشعر

ليس ما سلف في مثال السرد والقص ودور «الشهرزاد» العربية فنيه الا محض اشارات متعجلة مستدركة بالبعض من الاسماء، فالحركة الادبية النسوية العربية اغنى من ان يحيط بها مقال او استقصاء عبر العناوين كهذا الذي امارسه هنا. وكذا ينطبق الامر على الشعر الذي تكتبه المرأة، لكن الشعرية العربية وموقع المرأة فيها يبدو أكثر لبساً وأشد صعوبة على التناول، وبالتالي. ولو دققنا النظر في أحوال الشعرية العربية بصفة عامة لوجدنا أن هذه صفة عامة، ولا سيما أن ما حدث في السنوات الخمس الماضية، التي هي عمر التجديد العربي، جعل المشهد الشعري الحديث بالغ الصعوبة قراءةً. ولعل الاضافة التي شكلتها صيرورة المرأة في القصيدة العربية ان تكون مندمجة بالعمل الكبير من جانب النقاد الذين غالباً ما يهملون قراءة الجديد. لكن تجارب شعرية مهمة ظهرت في مصر خلال الثمانينيات تأخر النقد حتى تناولها كما هو حاله، وانما رسالة من مصر [illegible] ثلاث مجموعات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مرسال بصورة [illegible] [illegible] كتاب «مر معتم يصلح لتعلم الرقص» بقلم الناقد صبري حافظ استاذ الادب في جامعة لندن.

ومؤخراً صدرت لمرسال مجموعة شعرية جديدة، ويمكن اعتبار لغتها الشعرية لغة تملك اغراء خاصاً ولها قدرة على تناول موضوعات الكائن المفرد في المدينة. وفي اطار استكشاف علاقات الانثى بالنسيج الاجتماعي والانساني، صوت خاص ذكي وقادر على المناورة بوساطة اللغة لبناء جماليات شعرية تتوسط الجديد الجمالي الشعري في اللغة المنتشرة اليوم عربياً.

كذلك فاطمة قنديل التي تبدو اقل جرأة في استكشاف دواخل الانثى كانسان، وأكثر مسارعة الى الافصاح عن المؤنث فيها بصفته هوية، بخلاف ما تفعل مرسال، حيث الانساني قبل الجنسي في الهوية، ويبدو قنديل الصورة الوسيطة بين حالتي البوح الراقي لغوياً والتأسيس المشهدي للذات في لغة الشعر. مرسال وقنديل صوتان مؤثران ودالان، ويمكن الاستشهاد بهما بصورة مريحة.

بعد ذلك شهد الوطن العربي خلال التسعينيات ظهوراً لاصوات شعرية عديدة بينها نقرأ: ميسون صقر من الامارات وقد اصدرت اكثر من خمس مجموعات شعرية، ولينا الطيبي من سوريا واصدرت ثلاث مجموعات، وظبية خميس، قبلاً، من الامارات ولها حوالي العشر مجموعات وهي تقيم في القاهرة. ولو نحن شئنا ان نعدد اسماء، فلن نتوقف سريعاً. فمن سوريا هناك اليوم الى جانب الطيبي شاعرتان هما مي المصري وهالا محمد، اللتان صدر لكل منهما اخيراً «كرزة حمراء على بلاط ابيض» للمصري، و«على ذلك البياض الخافت» لهالا محمد. ويمكن متابعة نتاج شاعرات من شتى انحاء الجغرافيا العربية من أمثال: فاطمة محمود، الزهرة المنصوري الهنوف محمد وامل الجبوري ثريا العريض وداليا رياض ودينا ميخائيل ورندة قرشحة وزكية مال الله وسعدية مفرح وسليمى رحال وسهام جبار وغادة ابراهيم وعلية عبد السلام وفوزية السندي ومهى خالد وموزه حميد ونداء خوري وعلية عبد السلام ونهى بيومي وهدى حسين ووفاء العمراني وشهيرة احمد وغادة الشافعي وهدى دغفق وسوزان عليوان وحمدة خميس واسماء اخرى.

اللافت ان هذه الاسماء تكتب القصيدة ولا سيما قصيدة النثر التي تشكل خروجاً على النظام التقليدي للفن، وتتجاوز العروض بما هي وحدات موسيقية مسبقة الصنع الى توليد ايقاعات خاصة، وهذا يشير الى مدى انسجام الحداثة مع حساسية المرأة، خصوصاً أن التاريخ الشعري الحديث ينبهنا الى ان شاعرتين هما أول من كسر النظام التقليدي العربي في الكتابة الشعرية، الاولى نازك الملائكة من العراق بكتابة القصيدة الحرة عام ١٩٤٧ مع قصيدتها «كوليرا» والثانية ثريا ملحس «من فلسطين» عام ١٩٤٩ مع كتابها المنشور في ذلك العام في بيروت تحت عنوان «النشيد التائه» وبذلك تكون قد طرحتا على النقد العربي الحديث سؤالا حول المؤنث في الشعر ودور المرأة في الكتابة العربية الحديثة، ومنها الكتابة الشعرية، وهو سؤال لا يملك ناقد منفرد ان يجيب عنه، ولا تملك رؤية نقدية واحدة ان تحيط به.

حسبنا هنا ان نثير السؤال حول كتابة المرأة ونطلب من النقاد العرب ان يحاولوا الاجابة عن هذا السؤال عبر القراءات النصية التي يمكنهم تقديمها للنصوص الادبية الجديدة المكتوبة بقلم المرأة.

(«المشاهد الثقافي» في «المشاهد السياسي» – لندن)

* غلية قباني *

* سوزان عليوان *

* عناية جابر *

* علية عبد السلام *

هل سيشهد الريف المصري حركة احتجاج في الفترة القادمة؟

(تتمة من ص ٨)

قد منعت زراعة قصب السكر واستبداله بالشمندر، لان حقول قصب السكر، وهي نباتات عالية وكثيفة تشكل مخبأ مثاليا للاصوليين.

وقضية اخرى ينبغي عدم اخفائها وهي ان مصير التعايش الطويل الممتدة جذوره الى مئات القرون بين المسلمين والمسيحيين الاقباط، الذين يشكلون بين (٢٥) و(٣٠٪) من سكان الصعيد بات مهددا. بسبب التحريض الطائفي الذي يبثه الاصوليون.

ويتلخص وضع الاقباط في الصعيد كالتالي: الدولة لا توفر لهم الحماية تجنبا لاثارة المتطرفين وهؤلاء يقتلونهم لزعزعة الدولة.

وقد بدأ تدهور العلاقات بين المسلمين والاقباط في الصعيد، بشكل خاص، قبل اكثر من عشر سنوات حين اختار الرئيس السابق انور السادات الاعتماد على الاصوليين لمكافحة اليساريين، هذا بالاضافة الى النظام التربوي الذي شدد بتأثير من الاصولية على ما يفرق بين الاقباط والمسلمين وليس على ما يوحدهم.

ويهدف الاصوليون، من وراء التصعيد الطائفي، الى جذب السكان الى دائرة الاضطرابات في «معركتهم» الرامية الى القضاء، تدريجيا على سلطة الدولة. ففي حين يخوضون «حرب عصابات» ضد الدولة يواصلون تجنيد السكان، وخاصة من الاطفال والمراهقين، الذين يلقنونهم دروسا في «الدين»، وان كثيرا من طلبة الجامعة وتلامذة المرحلتين الابتدائية والثانوية ينضمون الى هذه الخلايا التعليمية في المساجد الخاصة، التي تعد بالآلاف ولا سيطرة للدولة عليها.

□ بنوك «اسلامية» لضمان الربح بالحلال! □

وكبقية الحركات الاصولية في الدول العربية انشأ الاصوليون في مصر «المصارف الاسلامية»، لكي يتمكن زعماؤهم من شراء الذمم، من جهة، وجني الاموال والاثراء، من جهة اخرى. فتستغل هذه «المصارف» المشاعر الدينية للمواطنين لاقناعهم بأن التعامل مع البنوك الاخرى محرم.

وتجتذب هذه البنوك شريحة هامة من المواطنين باسم الاسلام في الوقت الذي تقتطع فيه جزءا من الارباح باعتبار انها من اموال الزكاة بحجة تمويل مشاريع خيرية او ضمان الربح بالحلال.

ويوجد في مصر ثلاثة بنوك اسلامية اكبرها «بنك فيصل الاسلامي» برأسمال (٣٠٠) مليون دولار، ويتخذ من مفتي مصر السابق الشيخ محمد خاطر مستشارا له و«بنك التمويل المصري - السعودي» و«البنك الاسلامي الدولي للاستثمار والتنمية». ولا تمثل ودائع البنوك الاسلامية سوى (٢٠٪) من ودائع البنوك الاستثمارية البالغة (٣,٥) مليارات دولار في حين تبلغ الودائع في اكثر من مئة بنك تجاري (٤٤) مليار دولار.

ورغم ان البنوك الاسلامية، كما أكد احمد زندر، وهو وزير سابق للمالية تولى ادارة مصرف اسلامي في الثمانينات، تخفي الارباح الحقيقية عن المودعين وتقدم لهم كشوفات مغايرة على اعتبار انها توزع للارباح. وتشير بعض الوقائع الى أن اموالها تستغل وتستخدم لتنفيذ اعتداءات، الا ان الحكومة المصرية تصر على ان هذه البنوك جزء من النظام المصرفي المصري المتعدد الاشكال وتعمل مثل البنوك الاخرى في خدمة المجتمع ولا نية لالغائها!

□ تعبئة لمواجهة الارهاب الفكري باسم الدين □

اضافة الى ذلك تتعرض النشاطات الفكرية والفنية في مصر لقيود متزايدة من قبل الدولة والمسؤولين الدينيين الذين يشغلون مراكز نافذة داخل مؤسسات الدولة والجماعات الاصولية التي تستخدم التهديدات والترهيب او العنف الجسدي المباشر للقمع وكم افواه المبدعين المصريين في شتى المجالات الفكرية والادبية والفنية. والانكى من ذلك ان الحكومة تضع نفسها بمستوى واحد مع الجماعات الاصولية المتطرفة عبر المزايدة في الشرعية الدينية، للمواجهة الذين يأخذون عليها انها «ليست اسلامية بالقدر الكافي» سعت الحكومة لمنافستهم عبر ارتداء عباءة الدين واختيار اعضاء من المؤسسة الدينية لمساندتها.

كما ان هيمنة الدولة على كافة وسائل الاعلام وقانون العام ١٩٩٥ يسهل على الحكومة اعتقال الصحفيين، وادى ذلك الى اغتيال المفكر المصري، فرج فودة عام ١٩٩٢ ومحاولة اغتيال الكاتب الكبير نجيب محفوظ عام ١٩٩٤، ولا ننسى طبعا، وضع الاستاذ الجامعي نصر ابو زيد، الذي اختار المنفى بعد ما حكم عليه بالانفصال عن زوجته بتهمة «الردة».

ويوفر العنف الذي تمارسه «الجماعات الاسلامية المسلحة» ذريعة للحكومة للقمع واسكات معارضة سياسية بحجة الحفاظ على الامن القومي.

وتعيش الساحة الثقافية المصرية الآن حالة من الصرع بين انصار الثقافة التنويرية وبين الاتجاهات الرافضة للثقافة والتي تصب، في نهاية الامر، في خانة التطرف. وتحاكم الابداع الفني بمعايير تجاوزتها الحضارات البشرية منذ قرون.

ويجمع مثقفون مصريون يتصدون للارهاب الفكري باسم الاسلام على ان الحكومة، بشكل عام، ووزارة الثقافة المصرية، بشكل خاص، تنصاعان لاوامر الازهر ولا تخالفانه عندما يرفض احد الكتب ويصدر بحقه حكم الاعدام قبل ان يرى النور، ويؤكدون ان الازهر ليس الفاتيكان، انه في الاصل جامعة للعلم والثقافة وليس من حقه ان يلعب دور الرقيب ويقرر اصدار فتوى حرمان على ١٩٦ مؤلفا.

ويشير هؤلاء المثقفون الى ان رئيس مجمع البحوث الاسلامية وهو ابن الشيخ متولي الشعراوي، وجد فرصة للانتقام من الذين اختلفوا مع والده في تفسيره لامور الدنيا. ويتحدثون عن التنكيل بالكتاب وتصفية الحسابات لصالح دول تسيطر على هذه القرارات، ويتساءلون: ما علاقة الازهر بكتاب يتحدث عن حرب الخليج والمخابرات الامريكية وكامب ديفيد وانتشار قوات امريكية واجنبية في الخليج والسعودية؟

يبقى ان نشير الى ان «الرقيب» الذي يصادر الكتب التنويرية لم يؤلف كتابا واحدا ودرجته العلمية تخالف الشروط القانونية للمنصب!

□ (١٥) مليون مصري محرومون من اكل اللحم □

* والوضع الاقتصادي في مصر كبقية دول العالم الثالث التي تعصف به الازمات بسبب الشروط المهينة والمذلة التي تفرضها الدول الرأسمالية ومؤسساتها المالية كي تقدم لها المساعدات المالية، وفي بعض الاحيان تكون الدول الرأسمالية معنية بابقاء تلك الدول، دول العالم الثالث، سوقا للايدي العاملة الرخيصة محرومة من تطوير صناعاتها.

ومع انخفاض الدخل الحقيقي للفرد، الى (٦١٠) دولارات سنويا، ارتفعت معدلات الضرائب المباشرة وغير المباشرة. ودلت بعض الدراسات الميدانية على ان (٢٥٪) من السكان، (١٥) مليون مواطن من اصل (٦٠) مليونا، محرومون من اكل اللحوم، وان حوالي ٥٠٪ من السكان يمتنع عن استهلاك انواع من الخضراوات والفواكه لاسعارها الخيالية. هذا الوضع ادى الى ازدياد تفشي امراض سوء التغذية بين الاطفال خاصة، فاصبح (٤٥٪) من الاطفال في سن الدراسة، تلاميذ في المدارس الابتدائية، يصابون بالانيميا، و(٢٨٪) يعانون من نقص ظاهر في الطول والوزن.

اما البطالة فهي متفشية بشكل خطير بين العمال المصريين، اذ تصل الى (١٨٪) من نسبة الايدي العاملة في مصر.

هذه الارقام والاحصائيات هي غيض من فيض الا انها تعكس مدى معاناة الشعب المصري بسبب تبعية الاقتصاد المصري، ومدى انحياز الخطط الاقتصادية التي تضعها الحكومة لصالح «القطط السمان»، واهمال مصالح غالبية الشعب المصري بشرائحه الاجتماعية المختلفة.

ينبغي الاشارة الى ان سياسة مصر الخارجية لا غبار عليها فيما يتعلق بالقضايا العربية وخاصة القضية الفلسطينية، ولكن السياسة الخارجية تستمد قوتها وعنفوانها من السياسة الداخلية والاستقرار الداخلي، هذا ناهيك عن الاستقرار الاقتصادي وتطوره ونموه.

كل شيء عن قُرحتي المعدة والاثني عشر

(تتمة من ص ٦)

والمعدة ماهي الا مكان لاستقبال الطعام ولقتل الجراثيم التي نتناولها معه ومن ثم نقله بواسطة الحوامض للاثني عشر. ولا علاقة للمعدة بما يحدث بعد ذلك.

* «الاتحاد» - ماهي أعراض الاصابة؟!

- د. موسى: ألم في الجزء العلوي من البطن وفي أغلب الأحيان يكون الألم مرتبطا مع الأكل نفسه فيزداد عند الجوع ويقل بعد الأكل لكونه يعادل الحوامض في المعدة ويقلل من نسبتها. كذلك يمكن ان تأتي الأعراض على شكل أوجاع ليلية شديدة توقظ المريض من نومه وفي أحيان قليلة تكون على شكل اوجاع في الظهر او على شكل نزيف يظهر مع التبرز.

* «الاتحاد» - وماهي امكانية الشفاء اليوم؟!

- د. موسى: بعد اكتشاف الجرثومة كمسبب للقرحتين اصبحت امكانية الشفاء كبيرة جدا مع استعمال العلاج الملائم لقتلها. فهذا الأمر اصبح بالامكان تحقيقه فقط قبل سنوات قليلة. والعلاج يتضمن ادوية تحتوي على مضادات حيوية وأدوية مانعة لافرازات الحوامض تعطى لمدة اسبوع واحد او اسبوعين. ثم في حالات قرحة المعدة يجب التأكد من اندمال الجرح عن طريق الفحص بالمنظار والمتابعة لدى الطبيب حتى الشفاء نهائيا، بينما قرحة الاثني عشر لا تحتاج لمثل هذه المتابعة.

* «الاتحاد» - هل من الممكن ان تعود القرحة بعد العلاج والشفاء؟!

- د. موسى: من الممكن، في حالة الاصابة بالجرثومة نفسها ثانية وفي الحالات الوراثية وتناول الأدوية التي ذكرت سابقا. كذلك هناك تعقيدات قد تحدث للقرحة، مثل انسداد الاثني عشر فيسبب تقيؤا وأوجاع بطن شديدة. أو حدوث نزيف من القرحة وأهم علامة له تحول لون البراز الى اسود كلون الفحم، او تقيؤ دم، او حدوث ثقب في المعدة او الاثني عشر وهذا ايضا يسبب أوجاع بطن شديدة جدا ممكن ان تؤدي الى مشاكل خطيرة قد تصل حد الوفاة.

حول «غسل وجّك يا قمر»:

(تتمة من ص ١٩)

باختصار، غيرنا. وهذا ما أراده الكاتب لئلا نحسّ بقربنا من هذه الشخصيات، وبالتالي نستطيع تقييم وضعها بموضوعية، بعيدا عن اي ذاتية، والا ان رأينا أنفسنا بينها لن نكون موضوعيين في أحكامنا وستجد لها التبريرات الذاتية لما تقوم به (عنصرية، عدم مساواة العرب في الحقوق، مطارد الخ...)، وليس الهدف ان نصل الى هذه التبريرات لانها مخدرات عقل، وهي مجترة اصلا، وبديهيات، ولا يختلف اثنان في وجود العنصرية، مثلا.

المسرحية، كما شاهدتها، لا تجري حسابا مع الآخرين، اي لا تجري حسابا خارجيا بل داخليا ذاتيا. هو حساب مع النفس ومراقبة ذاتية وتأمل. ولذلك احتاج الكاتب الى أكبر قدر من موضوعية المتلقي في تناوله هو للقضايا وتقييمه للمضيرة. ولهذا السبب فقد غرّب الشخصيات عنه، ونجح في ايقاعه في شرك لعبة تلاعبه بالزمن واقناعه بها، فلم ينس ان الأحداث لا تجري اليوم ولكنها تجري امامه الآن.. انها تجري الآن فيما بعد. اذا، نجح الكاتب في تمويه المتلقي وايهامه (خلال العرض المسرحي تمت الاستعانة بتقنيات فنية وديكورية بغية ذلك ايضا) فكان له ما أراد للمتلقي من ابتعاد عن ظاهر الشخصيات كي يقترب من جوهرها/ موضوعها أكثر، لابداء الموضوعية تجاهها. وبعد ذلك كله يحدث التطهير عند هذا المتلقي الذي يجري النقد الذاتي والحساب مع النفس الجماعية ويحذر من المستقبل ويستخلص ما يجب من عبر.

وبعد، فان هذه الشخصيات المسرحية كلها موجودة اليوم. هي كائنة في المجتمع، لكن بشكل مستتر وغير جلي. وهذه هي الحيلة هنا في الحديث عن مستقبل واضح هو حاضر غامض اليوم، ان ما هو خفيف التركيز اليوم سيكون شديده غدا. هذا هو كل ما هنالك. وبذلك، فان المستقبل يمكن ان يعود امامنا من جديد لكن غياب العمل للحاضر والحذر من المستقبل يلغي اسباب التفاؤل المبرر، ويكون تفاؤلا لا اساس له، غيبيا وليس واقعيا، وهذا هو التفاؤل المزوّر المرفوض البتة، التفاؤل بغية التفاؤل، واذاك فالتشاؤم أفضل.

ولما كانت المسرحية تتناول حاضرا غامضا لم يحتج الكاتب الى «احتراس»، على غرار ما كان يفعل الكاتب اميل حبيبي، مثلا، ليلغي به كل امكانية واردة لمطابقة شخصيات المسرحية لأشخاص واقعيين. وما كان حبيبي يقوم بذلك لولا شعوره العميق بوجود مثل هذا التشابه الممكن في حالته.

وكان لتأخير زمن احداث المسرحية ايضا ان عثرنا على الكاتب، اذ أعطى هذا التأخير حيزا لحضور الكاتب غير الكائن في الفعل او المسرحية. ففي لعبة البحث عنه نجده على هيئة المتوقع/ المتنبئ لما سيكون غدا بالاعتماد على الواقع، او هو المنبه/ جرس الانذار او صاحب المجهر المكبّر لما يحدث الآن فيما بعد. انه كاتب من جهة الفكر يرى الصورة كاملة من خارج مسرح الأحداث، ويقيم في اغترابه عن الواقع وبه يكتمل مشهد احداث المسرحية المتوقعة.

اذا، نحن لا نجد الكاتب في شخصية قناع معينه، انما هو صوت يرافق المتلقي في المسافة الزمنية الممتدة من الحاضر - حاضرنا - الى المستقبل - حاضر المسرحية -: عام ٢٠١٢ مثلا. فالكاتب غير موجود في المكان لكن في الزمان.

□ عن اللغة واللغة الأخرى □

لقد كانت لغة المسرحية العربية المحكية لغة راقية تصل حد الشعر احيانا، فلان الكاتب في صياغاتها ومفرداتها وجملها، مع الابقاء على مرونتها وطبيعيتها وتلقائيتها، دلالات عميقة. لكن بعض الكلمات الفصيحة أقحمت نفسها في هذا السياق وظهرت ثقيلة.

ولم يخل النص المسرحي من مباشرة، خاصة عندما كان ينقلب خاص المسرحية الى عام.. اي عندما كانت تخرج الشخصية من سطحيتها ومستواها الشخصي/ دورها لتدخل في نمطيتها وعموميتها ان عند تحدثها او عند التحدث اليها. وهذا القفز من صوت الشخصية الخاص الى العام كان يحدد النص/ الموقف ويوحد قراءته/ مشاهدته، ويجعله مباشرا كالشعارات القديمة (مثلا: في حوار بين مجيد العبد الله ونوال تحدث الاول بصيغة الجمع: خنترنا لما كانت عظامنا عم تتكسر).

وفي المسرحية زيادات كلامية تبطئ الحركة الدرامية وتوقفها احيانا: الحديث عن الأفلام المصرية (بين نعمان وبشير)، ملاحظة سالم لزوجته عن اتفاق التدخين بينهما في خضم نقاش حام، واقحام اللغة العبرية لتصوير واقع صعب تضيع فيه هوية الشعب ولغته الأصلية. وقد أدى الى التضحيك الاضافي خلال العرض المسرحي خاصة بعد سحب هذا الأمر (اقحام اللغة العبرية) على طول المسرحية.

ولم يؤكد استعمال العبرية، خاصة على لسان بشير، غاية توظيفها في المسرحية - عكس ضياع الهوية - لان كل استعمالها كان ساخرا، في حين ان ما يجري في واقع حاضرنا هو أننا نمزج/ نزوج العبرية - العربية بكل جدية. فبدا استعمال العبرية مزيفا، وكأننا في المستقبل - واقع حاضر المسرحية - سنتخذ، على مستوى الجماعة، موقفا من التعامل معها، او سوف نسخر في واقعنا اليومي منها عندما نستعملها فيما بيننا، وهذا يتنافى حتما مع جو المسرحية العام وفكرتها وتشاؤمها. لذلك كان توظيف العبرية، بهذا الشكل، مناقضا لما تسعى اليه المسرحية في آخر المطاف.

توظيف الحكاية الشعبية في المسرحية كان موفقا ومبسطا، بما لاءم مضمونها، فقصة «علي بابا والأربعين حرامي» حركت الدراما المسرحية، وكان يربط بينها وبين قصة المسرحية خيط ذكي. ويكفي ان هذه الحكاية وفرت الاجابة عن مصير من ينسى كلمة السر او لا يقرع جدران الخزان او لا يجد مفتاح الفرج للخروج من مأزقه قبل فوات الأوان.

وبعد، فان المسرح المحلي خطا خطوة هامة بعد هذه المسرحية وحري به أن يحترم هذا المستوى ويطوره.

حجر في الهواء

*** أحمد دحبور ***

ذهب الذين أحبهم، وبقيت....

اليوم أنشئ، حواري معه، هذا الغامض، الحيادي، الراعب، والذي لا تصح الفلسفة، أي فلسفة،!! من غير الاحتكاك به وسبر أغواره، مع يقين يرتقي الى مرتبة المأساة، في أن أي جدل معه لن يغير من مجيئه الحاسم. انه الموت... وقد عشت في كنفه، وترعرعت تحت سطوته، كان أبي شيخاً، يؤذن، يعقد القرآن، ويغسل الميتين...وكان له صوت من الحرير الذهبي، حتى أنني أذكر كثيرين من أهل المخيم، كانوا ينتظرون تسبيحاته التي تمهد لأذان الفجر، وهو يقول: «سبحان الواحد الأحد - سبحان الفرد الصمد - سبحان من رفع السماء بلا عمد - سبحان من أرسى البر على ماء جمد» وفي كل «سبحان» كانت حنجرته تتلألأ بصوت من النور جديد، وكانت حروف الدال الساكنة تعمق وقع التسبيح، الا أنه يقطع هذا الايقاع فجأة، ويغير «القافية» مع تغيير طبقة الصوت: «سبحان قاهر عباده بالموت»!

وعند هذه الفقرة، كانت القشعريرة تحتل جسدي الصبي، وترسل ذاكرتي الى شباب وصبايا، تطفئهم الموت وهم في عمر الزهر، فمنهم من غرق في نهر العاصي، ومنهم من ضربته سيارة مسرعة على الإسفلت، ومنهم من ذبحها أخوها لأسباب كان ممنوعاً علينا، نحن الصغار، أن نعرفها، ومنهم من «افتكره» الله لحكمة لا يعرفها غيره تعالى، ولكن الحالات كلها تؤكد تلك التسبيحة الخاشعة المهيبة: سبحان قاهر عباده بالموت.. لذلك كنت دائماً ضعيفاً تجاه أهل الموتى، وأذكر أنني - أيام الطفولة - كنت أنظر الى شقيق الميت او الميتة، ولا سيما في حالات الموت المبكر، نظرة اعتذار كأنني مسؤول عن ذلك الفقدان الأليم، لعل ذلك عائد الى مهنة أبي المهيبة، أو لأن الموت زارنا بدءاً من اسمي، فلي شقيق توفي وأنا في بطن أمي، فحملت اسمه حتى لا تغيب ذكراه

بهذه العلاقة السرّية مع الموت، كانت لدي الجرأة على الحزن حتى من أجل بشير الجميل، فأمام لحظة الحق تلك، لم أكن أفكر في أن هذا الشاب القتيل، انما أسهم، موضوعياً، في قتل أخي الأصغر يوم تل الزعتر، ولكنني كنت أفكر في سنواته الأربع والثلاثين، وفرحة العجوز جنفياف الجميل التي كانت تشكر «العضرا» على «انتخاب» ابنها لرئاسة لبنان، فاذا بها تلابس الأسود، وتصلي «للعضرا» من أجل ان تزوّدها بالصبر.

وليس سراً، عليّ على الأقل، أن لي مشكلة مع منفاي الأول، سورية، وتحديداً مع نظام الرئيس حافظ الاسد، لكنني يوم [illegible] ابنه باسل البكر، الشاب، وجدتني مشدوداً بارادة غامضة، الى السفارة السورية في تونس، لأخط في دفتر العزاء كلمات لا أذكر منها الا أنني ذكرت اسم أخي الشهيد، وتمنيت للسيدة أم باسل أن يلهمها الله الصبر والسلوان.

وأمس، أمس القريب، تلقيت نبأ مصرع الأميرة ديانا والثري ابن الفايد، كما لو أنهما من أقربائي.. ولكنني سرعان ما رتبت احساسي بالفاجعة، وتأملت هذه العنصرية الغربية التي لم تدرك حكمة قاهر عباده بالموت، فظلت الطبقات درجات، ولهذا فقد صوّرت أجهزة الاعلام مقتل الثري المصري، وكأنه ديكور تكميلي لهيبة رحيل أميرة ويلز، واذا كانت أموال الوالد المصري الشاكل، اتاحت بعض الأخبار الخاصة بالفقيد على استحياء، فان السائق المسكين، لم يحظ حتى ان نحفظ اسمه، وكل ما كان له من الفجيعة، قسيمة اتهام بأنه كان يسوق وهو مخمور، ويبدو أن الواقعة صحيحة، ولكننا، في حضرة الموت، قد نكون مشغولين بما هو أبعد وأعمق، بيتم الأولاد، وفجيعة الأهل، بماذا تشعر أم هذا السائق، والعالم يودع ديانا من غير أن يذكر حتى اسم ابنها الذي ذهب في مجزرة القدر العبثية تلك؟ أيها الموت الموت الموت... أليس غريباً أنك

- وأنت في عزّ جبروتك - غير قادر على تغيير علاقة البشر بك؟

* أبو محمد... النجار... الصفدي *

في جلسة عزاء محرجة، حيث لا تعرف ما المطلوب منك، ولا يعرف صاحب العزاء ما المطلوب منه، قال لي محمد، الشاب الذي أذكر يوم مولده في مخيم حمص:

- عندي لك خبر حزين... لقد توفي أبي.

- الأستاذ قاسم!

حين لفظت اسم الأستاذ «قاسم»، سمعته بأذني كأنه جاء من غير صوتي، ومن زمان بعيد، فاستيقظ المخيم، وجاء الغبار والضجيج والاحتفالات التي لم يكن عمري الطري ليعرف مناسباتها، وجاء الأستاذ قاسم شريفة، بقامته الفارهة، وصوته المعدني، وغضبه الحنون، ليطرخ بنا فنهابه ولا نخاف، ونتجمع حول «المنجرة» التي يمكن القول من غير تردد، انها المخزن البشري الذي خرج منه شباب فلسطين الذين عاشوا في مدينة حمص السورية، ليصبحوا فدائيين وممثلين ومغنين وشعراء وشهداء..

وأن تقول: الأستاذ قاسم، يعني أن تفتح ملفاً يعزّ على فلسطين كلها، فما من شاب من أبناء جيلي، أقولها بالمطلق، الا وكان لمنجرة الاستاذ قاسم دور في تنشئة روحه، وأنا اتحدث بالطبع عن أبناء جيلي الفلسطينيين في مخيم حمص.

كان أبو محمد، الأستاذ قاسم شريفة، مجنوناً بصفد. وكان لا يستطيع أن يتخيل امكانية أنه لن يعود الى صفد، كان نجاراً هناك، يصنع المكاتب وغرف نوم العرائس، والدمى الخشبية التي تكاد تنطق بين يديه، وحين خرج من صفد، أدخل مهنته الى المخيم الذي أصبح منفاه المؤقت، فبنى بألواح التوتيا، منجرة في العراء، وسرعان ما جعل منها نادياً للشباب، يقال ان اصابعه الماهرة أخرجت أول ما أخرجت عوداً للعزف، وكانت هديته للمرحوم عبد الله حداد، المغني والملحن الشاب الذي كان يسحرنا بصوته الرخيم، ولما كان الأستاذ قاسم، يعلمنا - في مدرسة الشجرة - مادة «الأشغال الحرة»، فقد نادانا ذلك اليوم الى المنجرة لنستمع الى عبد الله حداد، وهو يعزف على العود ويغني:

يا قطار العودة سر بينا
لازم نرجع فلسطين

عَ الوطن الغالي ودينا
وحيفا عم بتنادينا...

فيعلق الأستاذ قاسم، بمزيج من الزهو والاسى: صفد.. صفد.. بتنادينا....

وقد دعانا الى صفد وحيفا، كانت الكلمات تخونه، لكن جسمه الرياضي كان يتحدى قدراتنا الفتية على المشي والركض والرياضة العنيفة، كان أهلنا يباركونه ويسألونه عما يقصد من هذه التدريبات، وكان لا يعرف الجواب الواضح.. لكأنّ ريحاً تخرج من أضلاعه وتشدّه الى هناك، وكان، وهو الصعب الذي لا يبتسم بسهولة، ولا نعرف كيف نجعله يرضى عنا، يفاجئنا - في لحظات مباغتة - بنوبات من الحنان والحنين، وهو يكرز باسمها صفد... صفد يا عاليه وبراس تله..

ولكن الذي جعله قريباً من صفد، هو فتى من ترشيحا (نلفظها في مخيمنا ترشيحا)، فقد استفقنا ذات يوم على صور أحمد شريح ملأ جدران المخيم تحت عنوان: الشهيد البطل.. واتجهت عيوننا الى المنجرة.. فمن ذلك المشغل خرج أحمد شريح، وكامل حمود - من ترشيحا أيضاً - وأحمد عطايا، من صفد هذه المرة. شهداء المخيم الثلاثة الأوائل.. متى نظمهم الأستاذ قاسم، وكيف؟ وأي صبر هذا وقدرة على الكتمان بحيث سبقونا قبل أن ندخل السباق؟ وكان أبا محمد لم يكتف بهذه الدرجة من السرّية فاذا بشهيد رابع، وكان أحمد ابو الخير من يافا.

لم يكن قاسم شريفة، رحمه الله، زعيماً سياسياً، وما كان ليجيد الكلام، كان أباً ومعلماً، وكان آخر حديث هاتفي بينه وبين ابنه محمد، العائد معنا الى الجزء المتاح لنا من فلسطين، يدور طبعاً حول صفد، سأله: هل زرتها؟ ثم لم يسمع لابنه بالجواب: لا تقل لي... لا توجع قلبي.. الله يرضى عليك.

أبا محمد.. وداعاً أيها المعلم الأول.

* فحيح المرايا *

أستطيع الآن أن أذيع أسرار محمود موعد، فهو في موقع لا يناله فيه رقيب من دنيانا، ولكن هل أحتمل ان يكون الثمن هذا الغياب المفاجئ، الذي يفوق أي توقع؟ لا أقول، انه كان من أنبل.. بل كان أنبل من عرفت، وليس في هذا الكلام مجاملة للكأس التي سنشربها جميعاً، بل هو تقرير واقع يشهد له - كما أظن - كل من عرف أبا عماد..

والدكتور محمود موعد، من صفورية كما هو واضح من اسم أسرته، لجأ به أهله الى دمشق عام ١٩٤٨ وله من العمر بضع سنين، فمن الأكيد انه أكبر مني، ولا أذكر متى التقينا أول مرة، الا أنني أذكر ان لقاءاتنا في القاهرة عام ١٩٧٧ هي التي أسست صداقتنا التي لم يقطعها الاغيابه القادح منذ أسبوعين.. كان يعدّ رسالة الدكتوراه، لجامعة السوربون، عن نجيب محفوظ، وكان الأديب الكبير يعطيه من وقته الكثير، وقد حضرت عدداً غير قليل من تلك اللقاءات، في مقهى ريش، اما بين السابعة والثامنة صباحاً من كل يوم، واما مساء الخميس من كل أسبوع، وقد انتقل الموعد الثاني الى مقهى علي بابا في ميدان التحرير.

الا أن ما لم يكن يعرفه الأستاذ نجيب محفوظ، أن هذا الشاب النحيف، المؤدب، الذي ترك السهر هالتين سوداوين عميقتين تحت عينيه، انما هو أنموذج للفتى العصامي الذي قرر أن يحصل على أعلى الشهادات من غير أن يكلف أهله رهقاً. وقد كان له ذلك، فقد أخذ الدكتوراه من السوربون بتقدير عال جداً. والأهم من الشهادة كان ما كتبه له الاستاذ نجيب محفوظ. فقد أدلى بشهادة حول مستوى رسالته، هي الآن أمانة بين يدي عماد محمود موعد، وآمل أن ينشرها ذات يوم..

وقد نقل محمود موعد الى العربية عدداً من الروايات القصيرة، أذكر بينها رواية أرنديرا الطيبة لغارثيا ماركيز، وفي جزيرة القاب لكافكا، وأنه أصدر مجموعة شعرية كان كتبها باللغة الفرنسية، كما ساعد بعض المستشرقين على اختيار قصص فلسطينية للترجمة، وفاجأني ذات يوم - وأنا في تونس - برسالة في البريد، تحمل مجموعته القصصية الوحيدة التي نشرها في حياته، وهي «فحيح المرايا».

قلت انني أستطيع الآن أن أذيع بعض أسراره، وها أنذا أعلن أنه قدم مساعدات لا تحصى لعدد كبير من الفلسطينيين الشبان في سورية، لقد كان في موقع وظيفي ممتاز: المدير العام لدائرة التربية والتعليم العالي في منظمة التحرير الفلسطينية، وكانت هذه من الدوائر الفلسطينية التي لم تتأثر بجريمة الانشقاق على الأرض السورية، ولكن ليس الى حد المخاطرة بمساعدة أبناء المخيمات المتهمين بأنهم من «زمرة عرفات» حسب الخطاب السوري الرسمي. لقد كان ما أقدم عليه أبو عماد رحمه الله - ها أنا أقول رحمه الله مسلماً بغيابه - ينطوي على مغامرة غير محسوبة، ولكن فلسطين التي كانت تقصف بهذا الصفوري النبيل، لم يكن ليعيقه عن خدمتها عائق.. أما كيف ساعد ومن ساعد،!! فهذه أمور تخص أصحاب العلاقة. وتبقى وساماً على جبين محمود موعد.

. والآن أتذكر، ويجب على الشهود الآخرين ان يسجلوا ما أتذكر: كنا معاً، مساء ذلك اليوم الصيفي من عام ١٩٧٦: هو، ورشاد ابو شاور، والناقد واللوبياني يوسف سامي اليوسف، وكاتب هذه السطور، ومعنا، بطبيعة الحال، الدكتور حسام الخطيب الذي كنا دعوناه الى الوادي الأخضر، على طريق بيروت، ضمن تقليد دوريّ يتكرر شهرياً باقتراح من د. محمود موعد، كان الليل شجياً والغناء عربياً قديماً، ولم نكد نبدأ حتى سمعنا أصواتاً خشنة، انشدت أنظارنا الى الشارع العام، حيث كانت الدبابات متجهة الى مخيماتنا في بيروت، كان الموقف السياسي قد اتضح، وأهلنا في خطر ويومها توقف كل شيء، كان الصمت يلفنا، ولم يكن ينقص الا ان ينفجر الدكتور حسام بالبكاء حتى يتبعه رشاد، ثم انفجرنا جميعاً، حتى أصبح منظرنا، في ذلك المكان المخصص للفرح، غريباً.. ومضحكاً..

ستجري مياه كثيرة في الأنهار بعد ذلك، وأعيش في تونس، وأعود مع محمود موعد الى مجموعته القصصية «فحيح المرايا»: لماذا هذا الاحساس الباهظ بالموت؟ لماذا هذا الاختناق؟ لماذا هذه المرارة؟ لم يعلق. ابتسم، كأنما عيناه تقولان لي: هل هناك سبب للفرح؟.. وقد أبلغني ان فرخ البط عوام، فقد بدا عماد، ابنه، يتجه الى الأدب ويكتب.. كان هذا في آخر زيارة له الى تونس.

وتذكرت: عام ١٩٧٧، كتبت رواية بعنوان «العد التنازلي»، وقد قرأها هو ورشاد ابو شاور ورسمي أبو علي، ونصحني محمود موعد أن أؤجل نشرها، لأنه تتضمن نقداً ذاتياً قد لا يناسب منظمة التحرير الفلسطينية التي تتعرض للسهام من كل مكان، وفعلاً لم أنشر الرواية، ولا أدري ان كانت المخطوطة لاتزال على قيد الحياة حيث هي..

وماذا أيضاً يا أبا عماد؟ كيف حدث ذلك؟ وهل كانت مجموعتك «فحيح المرايا» تحمل شيئاً من نبوءة سوداء؟ لقد انقطع الحوار، واتصل الأسى.. رحمك الله

* أثناء الكتابة *

حين وصلت الى هذا الحدّ من كتابة هذه المادة، رنّ جرس الهاتف لأسمع صوت الصديق نظير مجلي: لقد توفي ابو ابراهيم.. علي عاشور في براغ، ونحن نبحث عن أهله في غزة..

بحثت، وسألت، وحاولت، ورددت:
واحسرتا للغريب في البلد النـ
ـائي ماذا بنفسه صنعا؟

على ان الحسرة لا تفي هذا الرجل الكبير حقه، لقد رأيته مرة واحدة، في براغ عام ١٩٧٩، وكان يسهم مع المرحوم اميل حبيبي في اعادة وحدة اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.. ولقد لمحنا، تماماً كما لمح الموت في اختطاف الأحباء درتنا موعد.. ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا...